

جامعة عبد المالك السعدي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
تطـــوان

كتاب التواريخ

أو تاريخ فاس

تأليف أحبار عائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية

ومعه كتاب "القبالة" لنزيل فاس الربي إبراهيم بن سليمان طروتيال



ترجمة وتقديم

د. عبد العزيز شهبر
وحدة تاريخ الأديان
والحضارات الشرقية

منشـــورات كليـــة الآداب والعلـــوم الإنسانيـــة

كتاب التواريخ

أو تاريخ فاس

تأليف عائلة بن دنان الغرناطية الفاسية

ومعه "كتاب القبالة"

لإبراهيم بن سليمان طروتيال نزيل فاس

ترجمهما عن اللغة العبرانية

الدكتور عبد العزيز شهبر

وحدة البحث والتكوين في تاريخ الأديان والحضارات الشرقية

بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان

الطبعة الثانية
الإيداع القانوني: 1081 /2002
ردمك: 9981127006X
تاريخ الطبع: 2006- 2007
مطبعة: الخليج العربي (152، شارع الحسن الثاني – تطوان)
الهاتف: 25 02 71 039 / الفاكس: 37 05 71 039



مقدمة

ובערב [illegible]

בימים [illegible]

ובשנת התע"ז [illegible]

ובשנת התפ"ג [illegible]

ביום [illegible]

מה בכתי [illegible]

صورة من مخطوط كتاب التواريخ بخط رفائيل يعقوب بنعطار

بسم الله الرحمن الرحيم

عاشت في المغرب عبر تاريخه طائفة يهودية تميزت عن غيرها من طوائف اليهود في العالم بتفاعلها الشديد مع محيطها ومشاركتها في نسج أحداثه.

وعلى عكس ما روج له الباحثون الأجانب من تقوقع هذه الطائفة داخل فضاءات الملاح، وخضوعها لسيوف السلطان وسياط القواد والجباة، فقد عكست كتابات أحبارها وضعا مغايرا لم يلتفت إليه هؤلاء الباحثون. لقد نقلت كتابات يهود المغرب أخبار المغرب وما تعاقب عليه من فترات الخصب والجذب، والأمان والفتن.. بدقة وبطريقة خاصة في تصور التاريخ.

ونظرا لكثرة ما ألفه يهود المغرب مما هو متعلق بتاريخ المغرب، فقد رأيت أن أصدر هذه السلسلة من المصادر العبرانية المغربية، أقدم فيها للباحثين في مجال التاريخ المغربي نصوصا ظلت مجهولة لدى الكثير منهم، أو ظلت نُقُولُ المؤرخين المغاربة الواقفين عليها بالواسطة فقط. وغالبا ما أفسدت تلك الواسطة لُباب النصوص مثلما حدث مع النقول التي تمت على الجزء الذي ترجمه الباحث جورج فيدا من كتاب التورايخ.

تكمن أهمية هذه المصادر العبرانية المغربية في كونها تقدم معطيات قد تغني ما تقدمه المصادر العربية المغربية من معطيات، وقد تتممها. إنها تاريخ خاص موجه من فرد من أفراد الطائفة إلى الطائفة بلسانها العبراني المشوب بالألفاظ الآرامية، أو باللسان العربي المحجوب بالخط العبراني، أو بلسان البربر.

أو بلسان القشتاليين المرسومين بالحرف العبراني. وأيا ما كانت الحال فإنه تاريخ موجه إلى الطائفة ضمن تصور خاص وفهم خاص وغاية خاصة. وليس يعني هذا أنها نزيهة نزاهة القطع ما دامت تحكمها الذاتية ويحكمها الانتصار إلى العرق، لكن حجاب اللغة الذي تدثرت به جعلها تُقدم معطيات لا تجرؤ المصادر العربية المغربية على إيرادها مخافة عيون الرقابة وألسنة الحناشين.

إن هذه المصادر العبرانية المغربية تملأ كثيرا من الفراغات وفضاءات الظل في تاريخ المغرب، وتعكس جانبا من المسكوت عنه في المصادر العربية المغربية.

والمصدر الأول الذي أقدمه ضمن هذه السلسلة، سلسلة المصادر العبرانية المغربية، هو كتاب التواريخ، أو كتاب تاريخ فاس لعائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية. وقد كنت قبل سنوات شرعت في تحقيقه باللغة العبرانية، غير أنني وفي غمرة عملية التحقيق صدر الكتاب بتحقيق الباحث مير بنياهو عن مركز البحث حول الشتات *Diaspora Research Institut* التابع لجامعة تل آبيب سنة 1993. وكان الأستاذ فان كوننغسفلد شورد هو من أخطرني بصدور الكتاب، وتفضل بإرساله إلي من جامعة لايدن، فعدلت عن فكرة الاستمرار في التحقيق ورأيت تقديم ترجمة للنص المخطوط المُخرج لدي بعد مقارنته بتحقيق بنياهو.

وأشير هنا إلى أن الباحث جورج فيدا قد تصدر قبلي لترجمة جزء من كتاب التورايخ إلى اللغة الفرنسية، ونشر ما ترجمه بباريس سنة 1951 تحت عنوان:

Un recueil de Textes Historiques Judeo-Marocains

غير أنني لاحظت في كثير من المواقع في الترجمة أشياء جعلت النص يبتعد عن مرماه، ووجدته حذف من النص ما ألح عليه مؤرخو عائلة ابن دنان واجتهدوا في ترديده؛ فعبارات مثل "مُحق اسمه" أو "سمت جلالته" أو "رعاه ربه وأبقاه"...إلخ عبارات لم يوردها كُتابها عبثا، إنها تعكس رؤية خاصة وتدخل في منطق في الكتابة خاص أيضا، وبدونها يفقد النص الغاية التي من أجلها كُتِب.

وحاولت جهد المستطاع أثناء ترجمة كتاب التواريخ من العبرانية إلى العربية أن ألتزم لغة قريبة من لغة مصادرنا التاريخية العربية المغربية، وتركت بعض النصوص التي أوردها مؤلفوها بالعربية الدارجة المغربية في ثنايا النص العبري كما هي دون تعريب، واكتفيت فقط بإنتشالها من غربة الخط العبراني ليثقفها قراء العربية. ووضعت للكتاب فهارس ميسرة تسهل على القارئ العثور على مبتغاه.

أما عن مؤلفي كتاب التواريخ فهم أفراد من عائلة غرناطية هاجرت من غرناطة إلى الجزائر ومنها إلى فاس، وتميزت بين العائلات اليهودية الفاسية بكونها عائلة علماء بالشريعة اليهودية ظلت مخلصة لجذورها الثقافية الغرناطية السيفاردية وتواصلت مع غيرها من الأسر اليهودية الفاسية الأخرى أصلية كانت أم مُهجرة..

وقد رأيت أن ألحق بهذه الطبعة الثانية لكتاب التورايخ ترجمة لكتاب القبالة لإبراهيم بن سليمان طروتيال نزيل فاس نظرا لما تقدمه من معطيات حول تهجير اليهود من الأندلس ، واستقرار قسم منهم في المغرب. كما يشكل الكتاب نفسه ضبطا للامتداد الثقافي السيفردي للمهجرين من اليهود والذين تنتمي إليه عائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية. ولعل الواقف على كتاب القبالة يمكنه أخذ فكرة عن طريقة يهود المغرب في التأليف في التأريخ، فإبراهيم بن سليمان طروتيال ألف كتاب القبالة في المغرب لكنه التزم فيه السير على طريقة إبراهيم بن داود الأندلسي صاحب كتاب القبالة الذي يركز بالأساس على ضبط السند الحبري والترجمة للرجال باعتبارهم فاعلين في التاريخ اليهودي.

كتاب التواريخ

ومما وقفت عليه مكتوبا في كناش مخطوط قديم:

طِلْعُوا اليهود للملاح سنة 5198 لبدء الخليقة من الدروب اللي ففَاس البالي. وثَبَتَ لي إنه بخط يد أستاذنا ومولانا الريان سعديا بن دنان. وطُردت طائفة فاس، لكثرة ذنوبنا وأخطائنا سنة 5198 لبدء الخليقة. وكان جلاءً مُرّا وسريعا لإسرائيل. طُردوا من المدينة المسماة فاس البالي. وهاجرت عائلات قليلة وبَنَت الملاح.

وفي سنة 5225 لبدء الخليقة، كانت مذبحةٌ في الملاح. الرب ينتقم انتقامه. وْكَانُوا في الملاح الطائفة المقدسة، وقَتْلُوهم عْلى قُدْسْ الرب. نِجْمُوا مِنهم عشرين رِاجِلْ مْزُوجين، وشي قْلِيلْ مِنْ الوْلاَدْ وُالنْسَا.

والاقتتال الذي كان بفاس، لا يعْدِلُه اقتتال إلى الآن، لأنه كان هناك أَخَوَان أحدُهما مَلَكَ والثاني تمرد عن الأول. وحدث مرة، أَنْ تمرد مسلمو المدينة، وأرسلوا إلى الأخ الثاني وبايعوه. وأقسم الثاني إن لم يعُد إليه مُلْكُه لن يُبقي قائدا ولا يهوديا.

وازدادت محننا حين عاد له ملكه، ونَفَّذَ قَسَمَه، وولى على المدينة [حي اليهود] نائبا يهوديا اسمه هارون. وتعظم اليهود، وساحوا، وغَيروا القوانين، وصنعوا صنائع لم يقوموا بها من قبل. ومن ذلك أنهم أخذوا مسلمة متزوجة، وضربوها ضربات قاسية. وكانت تصرخ وتطلب منهم العفو، ولم يسمعوا لها، و[استمروا] في ضربها، حتى اجتمع المسلمون وقتلوا اليهود مقتلة عظيمة. وقتلوا الذكور ولم يبق من اليهود واحد لم [يُهَنْ] أو يبدل عقيدته. ومع القتلى قتلوا

امرأة، وظفروا باثنين من أبنائها، وأخذوهم بأسلحة، متنكرين للملك. وأشفقوا على النساء. وكرزوا في المدينة بوقف ضرب اليهود.

وبعد عشرة أيام قبض الملك على كل العصاة، وقال لهم : علمت وتحقق لي إنه ليس من الرأي مخالفة شرفكم، وعليه فإن كل من أراد أن يعود يهوديا كما كان، فليعد، وكل من أهلك نفسه بيده، يُلقي بنفسه على قَدَاس الرب تبارك وتعالى ويقول: أنا يهودي، والذي يرى لنفسه ان يبقى مسلما هو وخلفه وخلف خلفه فليبق. وكان هذا الأمر سنة 5225.

وقبل هذا بخمس وعشرين سنة كانت هناك بفاس أيضا، مقتله عظيمة يسمونها بمذبحة "الخصة " [النافورة]. ومفادها ان اليهود اجتمعوا وساروا حتى دخلوا الجامع الكبير، وسدوا نبع الماء بالجامع. وملأوا مجاري الرخام الذي تجري فيها المياه بالخمر، و[أمضوا] الليلة [يشربون الخمر حتى ثملوا]. وعند الفجر، انسحبوا من ذلك المكان، وبقي هناك أحد اليهود ثملا هاجعا. وجاء المسلمون، وأخرجوه من هناك، وقتلوا كل اليهود الذكور الذين وجدوا. ولم ينج حتى [الذين بدلوا عقيدتهم]. وقتل [المسلمون] الصبية والنساء، ومنذ هذه المذبحة الثانية قرر اليهود أن يلبسوا جميعا رداءا من ألياف.

ويوم الأحد الواحد والعشرين من شهر كسلاف سنة خمسة آلاف ومائتين وثلاثة للخليقة (21 رجب عام846هـ موافق 3جنبر 1442) ، توفي الحبر الديان سعديا الطبيب، ابن الفاضل المرحوم المقدس المنعم سيادة أستاذنا الحبر ميمون طيب الله ذكراه ابن دنان. كان ذلك أول النهار.

قال الكاتب : رأيت أن أكتب هنا كلاما مثيرا وقفت عليه مكتوبا باللسان العربي في كناشة من كنانيشنا، لم يبين الكاتب، طيب الله ذكراه، اسمه عليها :

في سنة 5313 لبدء الخليقة ، إتْعَطل الشْتَا من أول العام وَ لاَ نْزِلْ حتى لْرَاْس شباط. أربعْ شْهُور مْزِدية. وُكَانت شدة كْثيرة حتى أوْصل الزرع سِتْ أَواقْ

للصحفة. وُ دَهشِتْ النـاس كـْثير، عْليهـا قَطْعُـوا الحاخـاميم، رعـاهم ربهـم وأبقـاهم، ثُـلاثْ صْيَامَاتْ عْلـى الفـرد مـن طيبـث: الأول عـشرة بطيبـث، وزوج أخـرين، ولا نْـزِلْ الـشْتَا. وراء ذلـك عَـاوْدُوا قَطْعُـوا علـى الـصبور [الطائفـة] ثلاثـة أخرين: الإثنين، والخميس والإثنين. صَامُوا الطائفة الصْيام اللُوْلي وُنْـزِلْ الـشتا. وُقْرِينـا هِيلِيلْ كَـادُولْ فِي المـلاح لْكُـوْل. ومـن وراء ذلـك رْفِدْ. عَـاوِدْ صُـومْنَا اليـوم الخـامس، وُنْـزِلْ الـشتا. وُحِرْثُـوا النـا س كـْثير مَقَـادْ مَـابْقَى وُقْـتْ. كـانوا النـاس يْحَرثُوا بالحمير والبغال، وفي موضـع جـوز (زوج) يحرثـوا بثلاثـة وثلاثـة تَايِـنْ. وأنـا رِيتْ بْعَيْنِي عشرة جوز فَـرْدْ خيط في ظهـر الزاويـة، عْلـى قَيْـدْ مـا بْقَـى وَقْـتْ. ومـن وراء ما حرثوا النـاس رْخَاسْ الدقيق تْنَاش للوقية ،الله تبارك وتعالى يْكَمل بْخِيرُو آمين. ومن وراء ذلك جاء العام صالح كـْثِير؛ جا العدس كـثير، حتـى سـوى أرْبْـعَ فْلُوسْ للمـد والحمـص كـذلك أربـع فلـوس ألمد، والـزرع أوقيـتين ونِـصْ للـصفحة. هذا أول الصيف. الله تعالى يكمل بخيرو آمين. كَمُلَ مَا وَجَدْتُهُ مَكْتُوبًا.

قـال الكـاتـب: بحثـت ودرسـت، وفحـصت التوقيـع، فكـان بخـط يـد الحاخام الصالح سيادة أستاذنا سعديا ،أبو الحاخام الصالح السموأل بن الدنان. وتلك كلمات حق في ذلك الزمان من عهدهم. لم يكن فيه أبناء أدام كثيرون في المغرب كما هـم اليـوم. وإنهـم كـذلك أُنـاسٌ فُضَلاء، مـستقيمون، وصـديقون، والمستقيم في عقيدته يَخْلُد، كما يفسر المفسرون " من جيل إلى جيل أمانتك أنت أسست الأرض فلن تتزعزع " [المزمور التاسع عشر بعد المائة، 90].
وكان الفراغ من كتابته، يوم الجمعة الثامن والعشرين مـن شـهر حشوان سـنة 5484 لبدء الخليقة (27 صفر 1136هـ موافق 26 نوفمبر 1723م). السموأل بـن دنـان جُعِلَتْ عاقبته طيبة.

ومما و جدته مكتوبا: السلطان الشْريف مُولاي الشيخ اشْغَلْها خَمْس سْنِين في فاس ،حتى سنة خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة عشر [5314= 1553م].

وفي شهر كسلاف جاء الخبر أن مولاي بوحسين المريني ساقْ التُّورْكْ من الجزائر، وجا حَارِكْ على فاس. وخرج مولاي محمدالشيخ الشريف المذكور ولقاهم على تازة، وبقي عليها نحو شهرين وانكْسَر الشريف وُرْجَعْ لْفَاْس. وعاويد خْرِجْ مرة أخرى ونزل على سبو، واتلقاوا على موضاع يْسَمِّيوَه كُدية المكالي. وُخْلاتْ بينَاتْهُم طُوَرادْ كبير بالرماية وبلنفاض، وبعدها نْكِسْرُوا الترك. نْصَرْهُمْ مُولاي عبد الله ابنُه ذِي السلطان الشريف المذكور. إلا الرما والعلوج الذي مولاي الشريف المذكور غَدْرُوا لْعَنْدْ الترك، وقِلْبُوا الرماية على الشريف، وانْكْسَارْ الشريف وُدْخَلْ لفاس الجديد يوم الحد رابع شباط سنة "شداي" (5314).

وليلة الإثنين خامس شباط من السنة المذكورة(4 صفر عام 961 هـ موافق 18 يناير 1554م) ،هْرَبْ الشريف، وُمْشَى فْحَالوا وْ خَلَّى جُمْلَة مِنْ وْلادُو وُجْوَارُو، وُخَلَّى مَالْ كْثِيرْ شَاينْ لا خَلَّى سلطان وُخَلَّى عُدة قْرِيبْ خمسين نَفْط، والبارود مَا يلُو طَرْفْ. ومن الزرع والشعير الهرية خَلاَّهُمْ مْمِلْيين والحديد، والقزدير والرصاص من كل ما يْكِسبو السلطان وخلا خيال كثيرة، وقيادها. وكانت خيالها أربعين ألف فارس. وبلغ لمراكش نحو خمسمائة خيال. وفي الطريق خَلَّى خِيلْ إنْ كْثِيرَة وُمَالْ كثيرة. وُقَامِتْ عليه لْعُولَم (الناس) الكل. وُجَا مُولايْ زيدان وُدْخَلْ لتافيلالت. وفي الغد يوم الثناين المذكور خامس شباط سنة 5314 دخلوا الترك ومولاي بوحسين لفاس الجديد، نحو أربع ألاف تُرْكِي، وجاوا نحو ألفين فارس شْرَاقه. ومن دخلتهم باب الجياد جَاوْزُا شي من الشُّوِيَّابْ، وطلعوا من ملاح المسلمين على السلوقية، وُدِخْلوا الملاح، وحَوْسُوا العَرْصَة الجديدة والبويدة، وقتلوا نحو أحد عشر روح. الله ينتقم لهم ويثأر. وُجِرحُوا ناس كثيرة. وقيد الرب مخلصا لإسرائيل، رجلا يهوديا من الجزائر؛ اسمه الحبر الأجل مخلوف خلفون الغربي، وهو نجيد (زعيم) على طائفة الجزاير، أصْلَحَ الله

فِعْلَهُ. خَادْ الحق (الضمان) على طائفة يهود فاس من السلطان التركي اسمه مولاي محمد صالح رايس، سَمَتْ جلالتُه.

وُ فْجِينْ رِينَا دَخْلَتْ عامة على الملاح عَيِّطْنَا على الحبر الأجل خلفون المذكور الذي كان عند باب الملاح، والملاح مشدود. وُمْشَى وُعَيِّط القُيَّاد والسلطان ،سمت جلالته، ودخلوا على الملاح، وخَرْجوا كل من دخل، وُقَتْلُو نَاسْ كَثِيرَة، وجرحوا ناس كثيرة، وُنِجْمُوا شَاين بيه من الموت ومن الحواص (السرقة). نِجمنا إله إسرائيل على يد مُخَلص يسرائيل الحبر الأجل خلفون. وبعد ذلك عيِّطنا للسلطان التركي أول ليام عشرين ألف دينار سوسية. وبقاوا الترك في فاس الجديد تسعا وثلاثين يوما. وخرجوا ، ورحلوا وبقى السلطان في فاس مولاي بوحسن وابنه مولاي الناصر أوزير في مكناس. والشيخ شاوول رعاه به وأبقاه بن شم طوب بن ريموك حَبْ يِرْجَاعْ شِيخْ وَلاَ كَانْ شِي.

ومن وراء ذلك جاء مولاي محمد الشيخ الشريف المذكور لفوق، حرك على تافيلالت وُخَادْهَا وُخَادْ خاه مُولاي أحمد وُجْمِيع أوْلاَدُو وُسَاقْهوم حتى وَادْ تادلا وُذْبَحْ أربع أولاد خاه مولاي زيدان، وثلاثة الذي خُوَانُه. وجا حرك لفاس مولاي عبد الله بن مولاي محمد الشيخ، وانْكْسَر وُهْرِبْ، وخَلا هنا عرب سوس أرحامنة والوادية قوم اين لا يسْقِيهَا ماء وَلاَ يطْعَمْهَا ماء: بقاو مَسْيِينْ يسْعَاوا عْلى دْيَارْ اليهود. مات منهم شئ لا يِقْدَرْ يْقُولْ حَدْ. بعد ذلك حرك على فاس مولاي محمد الشيخ المذكور، وخرج مولاي بوحسين يلقاه بقوة كثيرة، وتْكَيِّدْ مولاي بوحسين وُمْحَلْتُوا كلها، وُجْمِيع العرب نْهَارْ السبت واحد وعشرين لتشري سنة 5313 (20 شوال عام 959 هـ موافق 19 أكتوبر 1552) واللغد الحد دخل لفاس بقوة ورماوا، بوحسين على المزبلة ذي باب السباع، هو في جيهة، وراسوا في جيهة مقطوعة. وُبْقَا تِما مْسِيِّبْ قَدْ ثمان أيام، وبعد ذلك رْمَاوَهْ في مطمورة في المرس، ولا فاز بدفن. وبعد ذلك ذبح السلطان جميع شْيَاخْ الحومات ذي فاس. بعد ذلك ذْبَحْ المفتي ذي فاس السي محمد الدقاق، وبعد ذلك ذْبَحْ القضاة ذي فاس سي

محمد الطرون والطرون خاه قاضي نيتْ. وُمْشَى مولاي عبد الله لمكناس وُذْبَح شياخ الحومات. وذْبَح المفتي وبنوا اسْمُوا سي بُوعْلِي حرزوق مُحِقَ اسمه وذكره، وعطاوا اليهود، الله يسد حاجتهم، فْهَاذْ العام لمولاي محمد الشيخ عشرين ألف، وللتركي مُحِقَ اسمه وذكره عشرين ألف، ولمولاي بوحسين مُحِقَ اسمه وذكره ثناين وعشرين ألف، وعطاوا الصابون لمولاي الشيخ قريب أربعين مائة. الله القوي يُوقف مصائبنا. فلتكن المشيئة كذلك.

وتخير الشيخ شاوول، رعاه ربه وأبقاه، هو والربي إبراهيم ،رعاه ربه وأبقاه أخاه، جاءت عليهم نْتِفْقَه (خسارة) بمائة مائة. واتخدوا يهود جملة كل واحيد وحدو. الله تبارك اسمه يِسْتِرْ مَابْقَى.

طْلِبْ مولاي محمد الشيخ ليهود الملاح عشرة آلاف صحفة قمح. وتْهَاوْدُوا مْعَاه بتناين واربعين ألف سوسية، رفع الله المصائب عن شعبه بما فيه الكفاية. وْهَاذْ الجمعة نهار الخميس خمس ايام لتموز بَدلَهُ الله بأحسنِ مِنه سنة 5314 أمر السلطان مولاي محمد الشيخ علي الولي الربي المقدس سي إبراهيم عاديل، ومات في الخميس بدرب درب النْمِيش، وكان عدوا لإسرائيل حتى أقصى الحدود.

ومما وقفت عليه مكتوبا: في سنة 5318 شرع وباء الطاعون بفاس البالي في شهر شباط. وبعد ذلك، وبسبب ذنوبنا الكثيرة، دخل الوباء الملاح في شهر آذار الأول. وفي هذه السنة جاء خبر موت الملك مولاي محمد الشيخ. ومات في طريق سوس في موضع اسمه عرصة مهماح.

وُغَدْرُوه الترك في خْبَاثْهُو، وُجْمِيعْ مْحَلْتُو مْعَاهْ. وُمَاتْ وَلا رْفِدْ حَدْ يِدْهُو. وُجَازوا مِنْ تِم الترك لْسُوسْ، خْدَاوْهَا، وُبْقَاوْا فِي قْلِيلْ مِنْ أيام، وُحَوْسُوا جميعا من يهود؛ وُفِسْدُوا بْنَات كْثَار، وُخْدَاوْا جُمْلَة مِنْ أولاد، وُخِرْجُوا يِمْشِيوْا لبلادهم. وحرك السلطان ناصرو الله مولاي عبد الله ابنُه ذي محمد الشيخ الذي

رْجَعْ فِي مُوضْعو. وحرك أخوه سْمِيتْهُو مولاي عثمان، وحرك قايدْهُم يسميتهو وليا بـوبكـر؛ كـان في مـراكش وُحْضَاهَا مـن الـترك، وسـاعة إن وُصـْلُو الخبـار أن الـسلطان تـوفى ذْبَـحْ أخـوه وحـداش نفـس مـن ولادهـو وحفـادهو وخرجـوهم في العشية. وبرح في بلاد مراكش الله ينصر مولاي عبد الله؛ ويـرحم مـولاي محمـد الشيخ. وَلاَ مِنْ يتْعَلى قلبهو على أولادو أو حفادو. جاهم تم مذبوحين أجمعين، خاه أولادهـو أجمعـين حتـى مـن الموطـع، جبـدهم وذبحهـم وسميـت خـوه مـولاي أحمـد الـشيخ. وحـرك الـسلطان المـذكور وخـاه وقتلـو الـترك ولا مـابقى مـنهم ولا حـد. قطعوا روسهم أجمعين. والترك كانوا مياتين وخمسين ألف شَاينْ مْجَامَعْ مْعَاهُم مِنْ مْسِلْمِين. وُفِي هذيك السنة أيضا ذبح السلطان مولاي عبد الله نصره الله قايد آخر من قيادهم يسميتو بوجماد وفي ذلك العام أنيت حَرْكُوا الترك على فاس مع سار الدين أو كْسَرْهُمْ السلطان مولاي عبد الله نصره الله وُمْشَاوْا مَخْسُورِينْ وُرْجَع السلطان على خير. الحمد لله.

وفي ذلك العام [أي 5318] بعد الفصح شرعت الوباء في اليهود، وهربوا كثير من فاس لكل موضع، وبقيت الوباء في الملاح حتى التاسع والعشرين من شهر آب، بدله الله بأحسن منه. ورِجْعُوا ليهود في السبت يتواسون وُمَاتُوا مِنْ يهود فاس ستة عشر مائة وأربعين، ومات من يهود مراكش خمس آلاف وستمائة. وماتوا منهم ستين من رجال التوراة. وبعد ذلك جاوا من مراكش يهود، وقالوا: ماتوا بصحيح سبع ألف ونص. الرب بورك اسمه هو الذي يصرف غضبه عن شعبه إسرائيل. آمين. فلتكن المشيئة كذلك.

قال الكاتب: هذا ما وقفت عليه مكتوبا. إلى هنا، لم يورد الكاتب اسمه ليُعْلَمَ من هو. وبعد أن نقَّبْتُ بشموع البحث، وبحثت وتعبت، استخرجت انه خط الحاخام سيادة أستاذنا السموأل بن دنان طيب الله ذكراه.

وفي سنة 5321 بدل مولاي عبد الله نصره الله السكة ذي الذهب أو الدراهم ذي كانت من أيام بوه مولاي محمد الشيخ. الذهب كان سبعة وقراط ميزان في المثقال. وُرُد المثقال من عشرة ميزان ويجوز في ثلاث وأربعين. أو الدراهم كانت مريعة ردها مدورة فحال الطريوش. والآخرين ما زاد فيها ولا نقص. الله تبارك اسمه يجعلها مبروكة على شعبه إسرائيل آمين. وكان هذا في شهر آب من السنة المذكورة. قاله سعديا بن دنان. فأل خير.

وفي سنة 5326 للخليقة، كانت محنة انقباض المطر. وقطعوا «الحكماء» ثلاث صيامات؛ الإثنين والخمس، والإثنين بعد الفصح. وكان الفصح يوم الثلاثاء. وفي رأس شهر آيار كان اليوم الرابع، واليوم الخامس، الذي هو رأس شهر، يوم صوم. هكذا صنعنا: قرأنا شبَعْ براَكُوتْ.

ومما وقفت عليه مكتوبا : في سنة 5327 في نسيان، قطعوا يدًاين جوجْ ليهود فِي مكناس، تِسمْيِتْهُم، الأول يسحاق بن الباز، والثاني يونا بن لحول، جعل الله روحه في جنة عدن، في الباطل بغَيْر أَمْر السلطان. وكان سْبَبْ هذ الشي عْلَى عد اضارْبُوا مْعَ الحبر الأجل السموأل بن نحموش. وُحَصْلُوا في السجن غُوِي وَاِحْد يْقُولُولُو الزرهوني، دُمر اسمه، شيخ الحومة يسالهم نيتْ خْصِيفَة. أَمَرْ عْلِيهُمْ واحد يْقُولُولُو سْنَانُو وُقْطَعْ يديهم بغَيْر أَمْرْ السلطان، وُمِنْ تَم لخمس أيام مَاتْ يُونَا بن لحول وُلاَخُرْ باقي. انظر أش يفْعَلْ الضرار بيهْ. الله يوقف مصائب شعبه إسرائيل. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي سنة 5323 خمسة أيام لشهر كسلاف (5 ربيع الأول عام 970 موافق 12 نوفمبر 1562م) غير مولاي أحمد المريني عملة الفضة، وأمر أن تصنع من ثلثين فضة وثلث نحاس. هذا ما وقفت عليه مخطوطا لأبي سعديا بن دنان، مختوما باسمه.

قال الكاتب: يبدو لي أن هذا الحاخام هو نفسه الذي ذكرته أعلاه، وهو أبو الحاخام سيادة أستاذنا الحبر الأجل السموأل طيب الله ذكراه وقد سمي على اسم أبيه الذي توفي وترك زوجته حاملا.

وأذكر في صغري انني سمعت إحدى العجائز تحكي لأمي تلك القصة. و[مفادها] ان الحبر كان عريسا، قضى ليلة « الطبيلة » [طقس الغطس] الذي يسمى باللسان الأعجمي «تورنابودا » [*Tornaboda*] مع زوجته، واستيقظ باكرا، وذهب الى فاس البالي ومات. ولا أعلم هل قتل أم مات على فراشه على إثر مرض. والمضبوط في قضيتنا هو أنه من تلك الليلة لم يتابع معرفتها وحملت منه في تلك الليلة. وولد الحاخام المذكور وسمي باسم أبيه. هذا ما أذكره من الكتب التي أمامي. قاله الصغير " بالغيب باركني الرب بفضلك " [سفر التكوين الاصحاح الثلاثون ، 27] في اليوم الرابع لكسلاف عام 5484 لبدء الخليقة (3 ربيع الأول 1136 هـ موافق فاتح دجنبر 1723)، السموأل بن دنان.

كتب الحاخام التام سيادة أستاذنا الحبر الأجل السموأل ابن دنان طيب الله ذكراه أنه في سنة 5336 لبدء الخليقة(983 هـ موافق 1575 م)قَدِمَ مولاي عبد المالك، سمت جلالته، من بلاد الجزائر بجيش قليل وحارب مولاي محمد بن عبد الله. وعلى الرغم من عظمة جيش مولاي محمد، الذي كان قوامه مائة ألف راكب، وفرسان أشداء بأقواس ونبال، وعشرين ألف من الرماة انتصر عليه مولاي عبد المالك. وكانت الهزيمة بسبب تمرد أحد قادة الرماة على مولاي محمد، وهو قائد رماة الأندلس المسمى بالدجال. وبعد ذلك فر الملك مولاي محمد بأسًى ورجفة في الليلة الثانية من الفصح. وبقينا كقطيع لا راعي له ثلاثة أيام. وبعد ذلك دخل مولاي عبد الملك مدينة فاس. وفر مولاي محمد إلى مراكش. وأعطت طوائف فاس مع النجيد [الزعيم] الحبر إبراهيم روتي، رعاه ربه وأبقاه، ما قدره مائة وأربعين ألف أوقية. وكانت ضريبة عظيمة جدا على الطوائف، رعاها ربها وأبقاها.

وبعد ذلك توجه الملك عبد الملك نحو مدينة مراكش، وحارب مولاي محمد حربا شديدة بالقرب من سلا؛ ومات عدد كبير من جنوده وقواده. ودخل مولاي عبد الملك مراكش بأبهة عظيمة. وأرسل الى الحاخامات، أبقاهم ربهم ورعاهم، ليعيد للطائفة، رعاها ربها وأبقاها ستين ألفا مما أعطوه. وكذلك صنع. وكان ذلك أيام زعامة النجيد يوسف الموسنينو. وبعد ذلك ورد الخبر على الملك، أن مولاي محمد يقطع الجبال متوجها لمنازلته. فتوجه مولاي عبد الملك لملاقاته، غير أن مولاي محمد سلك طريقا أخرى. دخل الى مراكش، وانتقم من يهود مراكش ومن أسفار التوراة. ولولا رحمة الرب وقوته لدخل الأعداء الى القصبة. ولم يتمكن من الهجرة إلا قليل، لأنه لم تبق بقية. وكتبوا إلينا من هناك، أعني من مراكش، وقالوا: إن مدة النفي الذي مر بهم هي أحد عشر يوما كما في إشارة: أحد عشر يوما من حوريب [التثنية الاصحاح الثاني، 1]. وكان الجلاء في شهر آذار. والستون ألفا التي للطائفة، أبقاها ربها ورعاها، ضاعت بدخول مولاي محمد الى مراكش.

وبوُرُودِ الخبر [أي خبر ماكان من أمر يهود مراكش] إلى هنا انْمَاث كل قلب، وتراخت كل الأيدي ليلة الفصح. وكرز الحاخامات، أبقاهم ربهم ورعاهم، في كل الطوائف، رعاها ربها وأبقاها، لئلا يصنع أحد في بيته طبيخا فيه عسل أو أرز. وقد رأيت أبي، ونوري طيب الله ذكراه، يبكي ويُبكي ليلة الفصح كما في يوم التاسع من شهر آب أو أكثر، يبكي على الخراب الذي حل بمراكش. وبعد مرور عيد الفصح، أمر الحاخامات الطوائف بالصيام، وقرأوا المراثي.

وفي تلك السنة أيضا طالت مصائب عديدة كل طوائف المغرب مع مولاي محمد المذكور.

وبعد ذلك، وفي سنة 5338 لبدء الخليقة، في الأيام الأولى من شهر كسلاف (رمضان 985هـ موافق نوفمبر 1577) مر بنا مولاي محمد في اليوم

السابع، وخلصنا الله من قبضته. وبقي يضرب في البلدان دون أن يهدأ أو يستريح، والتجأ في النهاية إلى بلد إدوم [بلد النصارى] لشبونة. وأتوا معه [أي النصارى] لمنازلة مولاي عبد الملك. وجاء مولاي عبد الملك من مراكش بجيش عظيم. وأداعوا في كل تخوم المملكة أن يأتوا جميعا لإحلال النقمة بالنصارى. وكانت ملحمة عظيمة بوادي المخازن بالقرب من القصر [الكبير] وبالرغم من موت مولاي عبد الملك، لم نعلم سبب موته، لأن خدامه احتفظوا بسر موته، وكانوا يقولون: هاهو ذا الملك إنه حي. ومات في ذلك اليوم ثلاثة ملوك. مات مولاي عبد الملك وجاءوا به إلى هنا ودفنوه. ومات مولاي محمد، ملأوا جلده المسلوخ بالتبن، وأرسلوه الى كل مدن المغرب ليعلم أمر موته كل الذين يظنون إنه مازال على قيد الحياة. ومات السبستيان ملك لشبونة. وخلصنا الرب تبارك وتعالى من يده.

وكانت تلك الملحمة العظيمة سنة 5338 في اليوم الواحد والعشرين من شهر آب ولهذا قطع الحاخامات، رعاهم ربهم وأبقاهم، على أنفسهم، وعلى خلفهم، اعتبار ذلك اليوم عيد بوريم تعطى فيه الصدقات للفقراء [ويحتفل به] إلى أن يأتي المسيح.

ومَلَكَ مولاي أحمد، سَمَتْ جلالتُه، أوقع أحكاما عظيمة بكل القواد الذين كانوا مع مولاي عبد الملك. هكذا يهلك كل أعداء الرب، وأحباؤه كالشمس المشرقة بعظمته. الله يقرب لنا مسيحنا مليكنا. فلتكن المشيئة كذلك.

وكتبت كل هذا، أنا السموأل ملبيا لأبي رغبته، فقد كان يطلب مني أن أسجل مثل هذه الأحداث، لأن فيها معجزات للرب تبارك وتعالى. وها أنت ترى بعينيك كم هي عميقة في حسبانه. حتى هنا تنتهي إفادته طيب الله ذكراه.

قال السموأل بن دنان ابن الحاخام التام الديان سيادة أستاذنا الحبر الأجل سعديا: وهذا مما حدث لنا أيضا بفاس سنة 5344 لبدء الخليقة. لم نمطر

من بداية شهر طيبث (فاتح ذي الحجة عام 991هـ موافق 16 دجنبر 1583م) إلى اليوم الخامس من شهر آذار (5 صفر عام 992 هـ موافق 17 فبراير 1584م) وأمر القضاةرعاهم ربهم وأبقاهم، بصيام ثلاثة أيام: يوم الإثنين والخميس والإثنين. وبعد ذلك أمرونا بصيام فردي يوم الخميس. وصلينا في بيعة الحاخام الحبر الأجل بنيامين ناهون. وفي ليلة الجمعة سقطت أمطار قليلة.

وبعد ذلك قرروا صيام ثلاثة أيام أخرى: الإثنين والخميس والإثنين. ووافق يوم الإثنين الأول، رأس شهر آذار. وثارت نازلة كبيرة بين الحاخامات، أبقاهم ربهم ورعاهم، بخصوص الإستمرار في الصيام أو لا. وبعد ذلك قرروا إنه مهما تكن الدواعي فإن الصيام إذا ما أعلن لا ينبغي أن يُقطع. وصمنا يوم رأس الشهر. وقرأوا في صلاة الصبح من الإصحاح الثامن والعشرين من سفر العدد ، وفي صلاة العصر قرأوا من الإصحاحين الثاني والثلاثين والرابع والثلاثين من سفر الخروج، حسب ماهو متبع في سائر أيام الصوم الأخرى. ويوم الخميس نظموا استغاثة عظيمة وسط الدموع والحزن في مقبرة [اليهود الأصليين] التوشابيم، وفي الأسواق والشوارع. وأقفلوا كل الحوانيت ابتداء من منتصف اليوم. وكذلك صنعوا في مقبرة [اليهود المهجرين] الميغواراشيم، رعاهم ربهم وأبقاهم، بجانب قبور الحاخامات طيب الله ذكراهم. ورغم كل هذا لم يُسْتَجَبْ لنا. وكان الحاخامات يرومون تنظيم تجمع كبير يوم الخميس، تُحمل فيه أسفار التوراة وتُتلى الشِبَعْ برَاكُوت، غير أنه استُجيب لنا يوم الإثنين. وعلى الرغم من أننا قطعنا على أنفسنا الصيام، من الأمس، أَرسل الحاخامات في العصر لمراقبة الشمس حسب أقوال الربيين طيب الله ذكراهم. فوجدوا أنها لازالت ثلاثة أشبار فوق الأرض. وبعد ذلك نادوا في الطائفة، أبقاها ربها ورعاها، نادوا في الأسواق والشوارع أن لايستمروا في صيامهم. لكن بعض أفراد الطائفة تابعوا صيامهم وكانت أمطار هذه السنة مباركة دون شك.

ومما وقفت عليه مكتوبا: عام 5355 لبدء الخليقة كان مْطِيَر على واحد اليهودي مسكين. يسمو سعيد بن العواد، خرج يتفرج في جنان مولاي الشيخ الملك، سمت جلالته، وُتْفَغْنِنْ مْعَ وَاحَدْ المسلم. وُقامْ عْلِيهْ اليهودي، وُضْرِبْ المسلم بْوَاحَدْ المِدْيس، وجاء لْحَاكِيمْ الشيخ يحيى، وْعَبَّاه، وعذبو في القصبة من الخامس والعشرين من نسيان حتى إن بْرَا المسلم وَلاَ مَاتْشِي. حتى عْيَا الحاكم ما يْهَددْ عْليهْ بالموت، إياك يعطيه شي، حتى مَا رَا مِنو امْسَاسًا. خرجو في شهر أيار، وُرِجْمُوهْ بالقصبة وْهُوَ حَيْ مِسْكِينْ. وُبَعْدْ هذاك حِرْقُوهْ وْهُوَ حَيْ، ولا علاش، الا باطل، ومات على قدس الرب [المزمور 44. 23] حتى أن اسْمَعْنَا المسلمين يْشَكْرُوهْ وُيْقُولُوا إما صْبَرْ بْدِينُو. وُبعْدْ هذاك عْطَاوْا عْلِيهْ الكَهَالْ [الطائفة] خمس وستين أوقية للحاكم، وُدِفْنُوا شَايِنْ بْقَى مِنو. قالوا، ذِي رآه بَايِنْ بْقَاتْ السنسلة ذِي ضَهْروا مْكِمْشَة، وُالعِينِينْ كذلك والأذنين. وُفِي ذَاكْ النهار أَمَرْ الملك، سمت جلالته، عْلى يْهُودْ الملاح، يعْطِيوْا عشرين مائة بَعْدْ أن كانوا عْطَاوَهْ تسعمائة وثمانين، على الأمر ذي آمر. عَاوِيدْ يْجِيبُوا عشرين مائة أوقية تِبتْ فِينَا، شَايِنْ قالوا في المثْلَة: الموت منا والدية عْلِينَا. الله يبعد غضبه عنا، وعن كل شعبه إسرائيل في كل مكان، وَلاَ يْزِيدْ كْثْرْ. كتبه الصغير سليمان بن دنان، السيفردي الطاهر.

قال الكاتب، هذا الحاخام هو أخو الحاخام السموأل المذكور، وهو جد أمي وقد كان حاخاما كبيرا، وعارفا بحكمة الطب وبحكمة الخط. وكان واقفا على رجليه في حالة صحية جيدة. قال لأهل بيته إنه سيموت في الغد في الساعة الفلانية. وكان كذلك. هكذا وصلنا خبره من المتقدمين. قاله الكاتب السموأل بن دنان في الثاني من شهر كسلاف سنة 5484 لبدء الخليقة (فاتح ربيع الأول 1136هـ موافق 29 نوفمبر 1723م).

وحدث بفاس سنة 5353 أن حُبس أحد اليهود. واسمه إبراهيم بينينو. كان لصا. وكانت الأقفال تتفتح له دون مفتاح بمجرد أن يُمرر يده عليها.

وكانوا يقبضون عليه و [يحكمون] عليه بالموت. وكان يقول للناس إنه مسلم، فيُخْلُون سبيله. وحدث أن سرق بينينو منزل القاضي سي عبد الواحد الحميد. وطلب [القاضي] من الملك، سمت جلالته، أن يقتل الجاني. ولم يرض الملك بذلك. ولما كان يوم السادس والعشرين من شهر تموز، حل القائد يحيى عزو الله بالقصبة لتتقاضى المدينة إليه، فسقط إبراهيم بينينو بين يديه. فأمر القائد بقتله. وأعلن [إبراهيم] أنه ارتد عن دينه [أي أسلم]. فأمسكه الشيخ يحيى من كلامه، وأشهد عليه شهودا. وعُلق، وأُحرق في المكان المعروف بوادي السحول. أماتوه بأربعة أشكال الموت: الرجم، والحرق، والقتل، والخنق. وكان لإسرائيل ألم كبير من المسلمين، محق اسمهم وذكرُهم، الى اليوم، وقالوا: إن إبراهيم بينينو، مات على قدس الرب، وأنه كان يردد اسمه تبارك وتعالى. قال سليمان بن دنان هذا ما وقفت عليه.

قال الكاتب: هكذا يقول المسلمون باللسان العربي: " اسْرَقْ يَا السارَقْ طولْ مَا بينِينُو عَايشْ". قاله الصغير عند الرب، تبارك وتعالى، السموأل بن دنان في الرابع من شهر كسلاف سنة 5484 لبدء الخليقة (3 ربيع الأول عام 1136هـ موافق فاتح دجنبر 1723م).

قال شاؤول بن سيدي الوالد داود سيريرو:

إذا رمت تسجيل قليل من المحن التي تعاقبت علينا، ومرت بنا، تفزغ كل الآذان، وتروع كل سامعيها. وفي هذا اليوم نكون قد قضينا ثلاثة أعوام ونصف من المجاعة الشديدة، والمحن الكثيرة [وكان ذلك] من سنة 5363 لبدء الخليقة إلى سنة 5366. وقد فني وباد أهل فاس بالمجاعة من فاتح شهر تموز إلى فاتح شهر كسلاف من سنة 5366 لبدء الخليقة. ومات جوعا قرابة ثمانمائة من أبناء فاس الأعزاء، وبدل أكثر من ستمائة رجل وامرأة وشباب وعذارى عقيدتهم. وكانت الطرق خطيرة، فلا خارج ولا داخل، والماكث في المدينة مات جوعا، والخارج

خارجها سقط بالسيف. وذل إسرائيل كثيرا، بسبب ذنوبنا المتزايدة، لأن قوى المشتغلين بالتوراة خارت فلا دارس ولا باحث. وليس هناك يوم إلا وكانت أحزانه أكثر من سابقه بالضعف أو الضعفين. ولم تنته المحن التي نحن فيها حتى ازدادت عليها محن الحروب، فرأينا من يُلقي بنفسه في الجب ليموت، ورأينا من يذبح نفسه بسكين، ورأينا أباء يرمون أبناءهم، ونساء رحيمات يضربن أبناءهن ضربا يؤدي بهم إلى الموت. وليس هناك يوم إلا ويموت فيه عشرة أوعشرون[شخصا] بالمجاعة. وصمنا يوم السبت المقدس الثاني من شهر كسلاف سنة 5366 لبدء الخليقة (فاتح رجب عام 1014هـ موافق12 نوفمبر 1605م). و لم يُسْتَجَبْ لنا . الرب يضيء ظلمة شعبه إسرائيل.

ويوم العشرين من شهر آذار من السنة المذكورة (19 شوال عام 1014هـ موافق27 فبراير 1606م) أنشئ على الجبال مرثية على فاس اللطيفة التي كانت مضرب المثل و[جارية] على الألسن، إشتدت المجاعة حتى صار ربع قب من القمح بتسعة عشرة أوقية...

وفي فاتح شهر آذار الثاني(فاتح ذي القعدة عام 1014هـ موافق 10 مارس 1606م) لبى داعي ربه الرجل الفاضل الوجيه والقديس سيادة أستاذنا الحبر يعقوب بن عطار، وبسبب ذنوبنا الكثيرة مات من شدة الجوع. آه لنا، كيف يموت شخص قديس كهذا هذه الميتة الغريبة.

وكان عدد الذين ماتوا بالمجاعة، قرابة ثلاثة آلآف وبدل أكثر من ألفين عقيدتهم. وبقيت مدينة فاس مسلوفة، ومنبوذة.

وفي الحادي عشر من شهر أيلول من سنة 5370 لبدء الخليقة (11 جمادى الثانية عام 1019 هـ موافق 30 غشت 1610م) كثرت الضرائب في يد المعتدي بريحان، مُحِق إسمه وذكره، وأعطى اليهود عشرة آلآف أوقية.

ويوم السبت المقدس من سنة 5371 لبدء الخليقة، دمعت عيني بسبب حزني، لأن مولاي زيدان الذي نعيش تحت حمايته غضب علينا. ففي اليوم الثامن

من شهر تشري(يوم السبت فاتح رجب عام 1019هـ موافق 19 شتنبر 1610م)، جاء القائد الجائر بريحان، وأمر اليهود أن يعطوه عشرة آلاف أوقية بأمر من الملك؛ لأنه خلصهم من المسلمين الذين جاءوا لنهب ملاح اليهود. وإذا لم يعطوه ما طلبه منهم قبل الليل، كان عليهم آداء الضعف في اليوم الموالي. وشرع اليهود في جمع [تلك الضريبة]، ولكن يوما واحدا لم يكن ليكفي [جُماع هذه الضريبة]. وجاء القائد في اليوم الموالي، وطالبهم بعشرين الف أوقية. وكان صياح عظيم، وضجت المدينة ليلة عيد الغفران، ويوم الغفران. وتدنس بذنوبنا الكثيرة يوم الغفران المقدس. وقضينا النهار والليل في جمع الضريبة. وكان الحاخامات يبكون من تلقاء أنفسهم صباحا ويصرخون مساء، وتوقف عنهم صوت السرور والفرحة.

ويوم الحادي عشر من شهر تشري(الثلاثاء 10 رجب عام1019هـ موافق 28 شتنبر 1610م)، وقعت حرب، قرب المدينة، بين الملكين مولاي زيدان ومولاي عبد الله بن مولاي الشيخ. وانكسر مولاي زيدان ، وقتل عدد كبير من جنده، وقُتل العدو المعتدي بريحان، مُحق اسمه وذكره. ودخل مولاي عبد الله المدينة. وذهب النجيد [الزعيم] الحبر الأجل يعقوب روتي مع الطائفة لتحية الملك المذكور. وامتنع الملك عن مقابلتهم، وقال لهم: "انتم فرحون بما حل بمولاي زيدان سابقا، وهو الذي فعل بكم الشر". وفي الغد أرسل إليهم، وطلب منهم إعطاءه عشرين ألف أوقية كما أعطوا لمولاي زيدان. آه لما تراه العيون. وكم هم اليهود والحاخامات الذين عُذبوا العذاب القاسي. وأنا شاؤول أصغرهم جميعا.

وكنا جميعا في محنة كبيرة؛ كنا نجمع مال [الضريبة]، وتدنس بأخطائنا عيد المظال أيضا. ولا أقوى على تعداد مصيبة واحدة من ألف مصيبة حدثت لنا. فكثيرون هم اليهود الذين تم حجزهم، وخسروا أموالهم، وكثيرة هي القوافل التي نُهبت. آه لنا من كل ما مر وفني. الله تبارك وتعالى يخرجنا الى النور. فلتكن المشيئة كذلك.

وابتلانا الرب بالوباء فسقطت من بيننا أكثر من أربعمائة نفس من صغارنا الذين لا ذنب لهم. ويوم الخميس الثامن عشر من شهر حشوان سنة 5371 لبدء الخليقة (الحميس 18 شعبان عام 1019هـ موافق 4 نوفمبر 1610م) ، مات حاخامان اثنان: الفاضل الحبر الأجل يوسف الكوهن، والفاضل السعيد في كل أعيننا الحبر الأجل مير الصباغ طيب الله ذكراه. وأبنهم الحاخام المقدس الحبر الأجل ويدال السرفاتي. الله تبارك يجعل حدا لمصائبنا. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر كسلاف سنة 5371 لبدء الخليقة، يوم عيد المشاعل، أعطى الملك مولاي الشيخ أبو الملك مولاي عبد الله مدينة العرائش للنصارى، كما اتفق معهم حينما كان في أرضهم. وكان أبناؤه تحت أيديهم. وانتقل مولاي الشيخ الى تطوان، وعاقب المسلمين من أهل المدينة بمائة ألف أوقية، والأندلسيين بمائة وخمسين ألف أوقية، واليهود بعشرة آلاف أوقية وبقيت الأسفار [أسفار التوراة] مكشوفة عريانة.

ويوم فاتح شهر طيبث من السنة المذكورة، عاقبنا مولاي عبد الله بعشرة آلاف أوقية خارج الضريبة الثابتة. وفي فاتح شهر آذار ألزمنا بأداء ثمانية آلاف أوقية.

وآه لنا من الخبر الذي ورد علينا يوم الثالث من شهرآ دار المذكور عن مدينة تادلا، فقد دخلها المسلمون العرب، وخربوا البيوت، وأحرقوا خمسين سفرا من أسفار التوراة، وألفين من نسخ توراة موسى، وكتبا كثيرة. وقررنا صياما كصيام يوم التاسع من شهر آب. الله تبارك وتعالى ينتقم انتقامه. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي اليوم الثاني من شهر آيار من السنة المذكورة، أعطت الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، أربعة آلاف أوقية. وفي الخامس عشر من أيار المذكور أيضا أعطينا ثلاثة آلاف أوقية للقائد محمد كرني والقائد محمد السنوسي، محق اسمهما وذكرهما.

وفي ليلة العنصرة أرسل مولاي الشيخ القائد كرني لأخذ خمسة وعشرين ألف أوقية من النجيد [الزعيم] الحبر الأجل يعقوب روتي. ولم تكن له الاستطاعة. وكانت له وثيقة مكتوبة ومختومة تُلزم الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، أن تؤدي عنه كل ضرر يلحق به بفعل أدائه لمهمة الزعامة. وأدت الطائفة الخمسة والعشرين ألف أوقية نيابة عن النجيد المذكور.

ويوم الثالث عشر من شهر تشري سنة سنة 5372 لبدء الخليقة(21 رجب عام 1020هـ موافق 28 شتنبر 1611م)، عوقبنا بستة آلاف أوقية، وحزنا كثيرا، لأن الشعب كله كان فقيرا. وبلغ ثمن الحنطة أربعين أوقية للصفحة. وأقفلت المدينة.

وليلة السبت المقدس، الواحد والعشرين من شهر حشوان من السنة المذكورة (21 شعبان عام 1020هـ موافق 28 أكتوبر 1611م)، خرج الملك مولاي عبد الله وجنده هاربين، وأمر بإغلاق الأبواب، وأخرج كل ماله في منتصف الليل، والمدينة محاصرة والله يرى ويراقب من السماء. طلبنا العفو، جلسنا وبكينا.

ويوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر حشوان من السنة المذكورة (23 شعبان عام 1020هـ موافق 30 أكتوبر 1611م)، سمعنا ونحن صائمون أن الملك يجمع العرب لمحاربة أهل فاس البالي، و[استمر القتال] الى اليوم الرابع من شهر كسلاف، ونحن محاصرون. وكانت الحرب كل يوم. وكان اليهود يعطون لحراس "الحومة" [الملاح] مائة أوقية، لأن أَمْرَ السلطان كان كذلك.

وفي ليلة الأحد، السابع من شهر كسلاف (8 رمضان عام 1020هـ موافق 13 نوفمبر 1611م)، كانت ضوضاء كبيرة وفزع كثير، لأن المحلة، وأهل شراقة سافروا مع السلطان [لمحاربة أهل فاس البالي]. اقترب أهل فاس البالي من الأبواب، وأرادوا كسرها. وطلبنا الغفران، وجعلنا كل الأطفال الصغار وكل طلبة التلمود أمام أسفار التوراة، وخرجنا إلى شوارع المدينة،

وأحاط الحاخامات بكل هؤلاء الأطفال. وكنا نبكي بكاء شديدا ونقول: " إخواننا أبناء إسرائيل، اعلموا إنه ليس لنا وجه أي أننا نخجل لطلب العفو من الله ليكشف عنا هذه الكارثة، لأننا تجاوزنا ما هو مكتوب في التوراة بكثرة ذنوبنا. لكننا أتينا لنسأل الرب كشف تلك الكارثة ببركة هؤلاء الصغار" وقرأ الصغار طلب العفو بصوت عال. وبكى الصغار والكبار. وأكد المسنون أبناء الثمانين سنة الحاضرون، إنهم لم يروا في حياتهم قط بكاء أكبر من ذلك، ولا غفرانا مثل هذا الغفران. وكان الصغار يقولون في الاستغفار : " نحن لا أب لنا إلا توراة موسى سيدنا عليه السلام، وهي [أي التوراة] تسمع بكاءنا، وتطلب العفو لنا " وما أن سمع أعضاء الطائفة هذا الكلام، حتى خروا يتباكون جميعا. واستجاب لنا الرب تبارك وتعالى على الفور. فتبارك الرب الذي يصنع المعجزات. وألقى السلَم أهل فاس البالي، وفتحوا الأبواب. وكان هذا معجزة بالنسبة لنا.

ولم يذهب يهودي واحد الى فاس البالي إلى حدود اليوم الثاني عشر من شهر كسلاف مخافة الوقوع في قبضة شراقة أعداءهم. وازداد الحقد ضد اليهود. وقررنا صيام ثلاثة أيام، ويوم الثلاثاء كشف عنا الرب، سبح اسمه وتعالى، البلاء واستجاب لنا. وجاء رُسُلٌ وأخبروا : أن وجهاء [المسلمين] اجتمعوا وأعلنوا أن اليهود لا ذنب لهم. وقالوا ، أقوالا حسنة في حق اليهود. وخاصة القاضي. وذهب اليهود الى فاس البالي. ولم يسمح [الوجهاء المسلمون] بإذاية اليهود. من يستطيع تسجيل وإحصاء الحزن الذي أصابنا؟ فكل يوم كانت تُفرض على اليهود ضرائب جديدة لا تحصى، وكان كلام السلطان لا يَسْري إلا على اليهود. وفي الخامس عشرمن شهر طيبث من السنة المذكورة [أدينا] أربعة آلاف أوقية عدا المائة أوقية التي نؤديها كل يوم ويوم.

وفي ليلة فاتح شهر شباط من السنة المذكورة (الخميس 2 ذي القعدة عام 1020هـ موافق 5 يناير 1612م)، تسلل لصوص الى بيعة الحبر يوسف

الموسنينو، وسرقوا كل ما في البيعة، وسرقوا أسفار التوراة ورموها في " الجنان الحديث". جلسنا هناك نبكي، وقرأنا مراثي كثيرة، وصمنا اليوم الموالي. وعلى الرغم من أن اللصوص كانوا معروفين لم يصدر في حقهم أي حكم ، لأنهم كانوا تحت[إمرة] القواد.

وفي اليوم الرابع والعشرين من شهر شباط (25 ذي القعدة عام 1020هـ موافق 28 يناير 1612م)، عاقبنا الملك بثلاثة آلاف أوقية. وكان ثمن الحنطة ستون أوقية للصحفة. وأرسل إلينا الملك في شهر نيسان يطلب أربعة آلاف أوقية خارج المائة أوقية الواجبة علينا كل يوم لحراس " الحومة". وفي شهر سيوان أدينا ثلاثة آلاف أوقية ضريبة.

وفي الثامن من شهر سيوان(الجمعة 8 ربيع الثاني عام 1021هـ موافق 8 يونيو 1612م)، كانت حرب بين مولاي أحمد بن عبد الله وبين مولاي زيدان. ومات مولاي زيدان. ومات مولاي عبد الله ومولاي الشيخ في الحرب، ومات قواد كبار بمدينة مراكش. وفي شهر سيوان نفسه، دخل لصوص الى البيعة الكبرى للحبر الأجل سعديا بن ربوح، وجردوا أسفار التوراة. واثناء صلاة الصبح من يوم العنصرة، حين أخرجنا أسفار التوراة من الهيكل، خرج ثعبان عظيم جدا كان ملفوفا على التفاحات، وحين أعدنا الأسفار الى مكانها عاد الى مكانه. وفي آخر شهر سيوان تباحثت الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، مع الملك في شأن إعطائه مائتين وخمسين أوقية كل أسبوع خارج ما يُمنح للقواد.

وفي فاتح شهر أيلول(الأربعاء 2 رجب عام 1021هـ موافق 29 غشت 1612م)، ألقي القبض على النجيد [الزعيم] وأحد عشرة رجلا آخرين بسبب وشاية واش. وطلب منا أداء ستمائة شيقل. وفي الغد اجتمعنا نحن أعضاء الطائفة في الشارع بين البيع، وقرأنا ودعونا على الواشي، وإن كان معلوما. ولم ينقض أسبوع دون أن نؤدي أربعمائة أوقية. وكل خمسة عشرة يوما كنا نعطي للملك ألف أوقية خارج ما هو معلوم.

وفي اليوم العاشر من شهر طيبث سنة 5373 لبدء الخليقة (الخميس 11 ذي القعدة عام 1021هـ موافق 3 يناير 1613م)، وبينما كنا نشيع جنازة رجل، ضجت المدينة، وأقفلت الأبواب، وفر اليهود وتركوا الميت في الشارع. وبعد ذلك أتى بعض الناس ودفنوه. وذهبت كل الطائفة إلى البيعة. وطلبنا الغفران وبكينا كثيرا ، وتصدقنا. وأشفق الرب تبارك اسمه علينا وجنح الملوك [المتنازعون] الى السلم.

وفي اليوم الثامن عشر من شهر طيبث من السنة المذكورة(الجمعة 19 القعدة عام 1021هـ موافق 11يناير 1613م)، كانت حرب عظيمة بين أهل فاس البالي والملك بشأن « العشور»، وأرادوا القبض على السلطان. وكان يوم مصيبة. وقمنا مساء السبت من منتصف النهار الى المساء، بطلب الغفران مع الأطفال وأسفار التوراة. وخلصنا الرب. وعاد أهل فاس البالي الى أماكنهم، وجاءوا لإرساء السلم مع الملك. وكان يوم الواحد والعشرين من شهرطيبث المذكو(الإثنين 22 ذي القعدة عام 1021هـ موافق 14 يناير 1613م)، يوم محنة وبكاء؛ حاصر فيه أهل فاس البالي المدينة من كل جانب للدخول الى فاس الجديد. وقمنا بطلب الغفران بجلبة وبكاء. واستجاب لنا الرب المقدس، فلم يستطيعوا [دخول المدينة].

ويوم الخامس عشر من شهر شباط (الأربعاء 16 ذي الحجة عام 1021هـ موافق 6 فبرايز 1613م)، سافرت أم الملك للمجيء بقبيلة بني حسين ليعزروا الملك. وقررنا نحن الصيام. وكان أهل فاس الجديد يذّلون يوما بعد يوم. الله تبارك اسمه يجعل حدا لمصائبنا.

وفي الثالث من شهر آذار (السبت 4 محرم عام 1022هـ موافق 24 فبراير 1613م) أوشك أهل فاس البالي من الدخول الى فاس الجديد من باب "البوجات". وكان زمن محنة. الله تبارك اسمه يرحمنا. فلتكن المشيئة كذلك. وكان ثمن لترمن الزيت أوقية ونصف. وثمن اللحوم خمس أوقيات، وكانت المدينة مُقفلة.

وفي نيسان من سنة 5373 لبدء الخليقة ، قل القطر، وأوشكت الأرض أن تجف، ويبست المحاصيل. وقررنا صيام يوم السابع والعشرين من نيسان، وقمنا بأداء البركات السبع في كل البيع. ولم يُستجب لنا. وفي فاتح شهر أيار صمنا رغم منع بعض الحاخامات لنا. وكان هناك من قال: إنه لا ينبغي إخراج أي سفر من أسفار التوراة. أخرجنا سفرين وقرأ ثلاثة أشخاص فصلا من سفر الأنبياء، ورددنا« كُولْ نِدْرِي» ثلاث مرات لفك النذر وتنحيته، وتصدقنا. وصلى بنا الحاخام الشيخ الفاضل الحبر الأجل ويدال السرفاتي المسمى سنيور *Señor* [السيد]. وعدنا الى بيوتنا. وفي المساء رجعنا لصلاة العصر [مِنْحَه] وصلاة الختام [نِعِيلاَه]. ولم يُسْتَجَبْ لنا نظرا لكثرة ذنوبنا. آه لما تراه العيون.

وفي هذا اليوم ذهب حبيبي الحبر الأجل إبراهيم بمينطا الى مدينة تطوان. وكان رجلا تقيا. وكان يحفظ فصول المشنا الستة.

وفي اليوم الرابع من شهر أيار المذكور، لم يُستجب لنا، وقام الملك بنهب كبير في مراكش، وبقي أكثر [اليهود] فقراء، ومات عدد منهم بالجوع وارتد بعضهم. الله تبارك اسمه يجعل لمصائبنا حدا. فلتكن المشيئة كذلك. وقررنا يوم الخميس صيام ثلاثة أيام. واجتمعت كل الطائفة بالمكان المذكور، اجتمعوا حفاة بخضوع كبير، وفسر الحاخام المذكور الحبر الأجل ويدال هذا النص " في إناء خزفي على ماء حار "[سفر اللاويين الإصحاح الرابع عشر، 5]. وتحدث، وكان تقيا كبيرا، حقيقته التوراة. وبمجرد سماع الطائفة لحديثه، جأرت باكية بكاء عظيما لا مثيل له. وفسر باللسان العربي كذلك، ووضع على رأسه وعلى أسفار التوراة رمادا. وجأر القوم بالبكاء وأذعن قلبهم للسماء.

وصرخت أنا الصغير شاوول صرخة عظيمة وقلت: إذا تحدث الحاخامات، رعاهم ربهم وأبقاهم، وهم زعماء الجيل، وجب الإستماع إلى كلامهم. وشرحت لهم معنى وسبب الإتفاق. ولما رجَحَتْ كلماتي في أعينهم، أستأذنت الرب تبارك واستأذنت توراته والحاخامات، واستأذنت الزعيم السيد

يعقوب روتي، رعاه ربه وأبقاه، وقلت: " إنها الحقيقة. لم يان يوم توبة وبكاء وخضوع كهذا اليوم منذ هاجر اليهود من قشتالة. ويبدو لي أن هذا اليوم يوم عظيم، يوم غفران وتكفير" . وكثيرمن الذين أغضبوا الناس، اعتذروا لهم بصوت مرتفع. ووقف الحبر الأجل يهودا عوزيل وقال: " اسمعي أيتها الطائفة المقدسة، إنني أطلب الصفح من إسحاق لوباطو الذي لعنته وأغظته بكلمات حينما جاءني يتقاضى مع أحد الأشخاص". وهكذا صنع كثير من الأحبار والوجهاء. وكل ذلك تم في محضر الطائفة.

وقلت بعد ذلك: " إن هذا اليوم هو يوم غفران وتكفير. حقا، إنني أرى أن ثلاثة أقسام من أربعة قد غُفرت، لكن بقي قسم واحد، وهو الأكثر خطورة. إنه ذنب السلب. فمن نهب صاحبه، أو ظفر بالأشياء المفقودة؟ إننا لم نتطهر من هذا الذنب بعد. ولا يمكن أن نعدم مثل هذه الأمور في طائفة كبيرة كطائفتنا. ومنذ سنوات لم أسمع بأحد جاء ليعيد الضالة" .

وأَنَّبْتُ القوم حتى بكوا بكاء شديدا، وقلت لهم: "كثيرون هم الباكون والرماد على رؤوسهم، وبطونهم مملوءة بالنهب. من الأحسن لباس [الخجل] في هذا العالم من ارتدائه أمام الرب المقدس تبارك، يوم نقف أمامه تعالى للتقاضي"، وجأر القوم بالبكاء. وأشهر كل واحد ما نهبه. فأعلن شخص ما سلبه منذ ثلاثين سنة وقال: "أنا نهبت لفلان كذا وكذا "، وكنت أنا أُبَارِكُ المعْتَرِفَ بنهبه. وكان هذا اليوم يوم توبة كبيرة. وأقر شخص اسمه مسعود من مدينة مراكش بخطيئته، وقال: " إنه وشى بأحد أفراد الطائفة "، وطلب من [ضحيته] وَسْمَهُ بالواشي بصوت مرتفع، وأعلن أن لا يعود إلى الوشاية من هذا اليوم فصاعدا. وكنا كل اليوم ننقب ونفتش على الخطايا التي في أيدينا. لكن لم يعترف أي واحد من الوجهاء الذين اشتغلوا مع الطائفة بجمع الضريبة بخطيئته، إلا رجلا اسمه حنانيا بن ميرة، اعترف وأعلن أن بذمته ستين أوقية من حسابات الطائفة.

ولما رأيت أن لا أحد اعترف. صرخت مرة أخرى بصوت عال قائلا: " إليكم أتوجه أيها الوجهاء "، ولا مجيب. ومكثنا هناك ساعة من الليل. وأكثر الذين تابوا كانوا من الفقراء؛ كما في يوم الغفران. ورجعنا مسرورين. ولم يسقط المطر. وأرسل إلي النجيد [الزعيم]، وكان بمعيته شخص اسمه مناحيم سانانيص، وكان يدعى " رشبتور" *Respetor* الطائفة. وتحدث إلي بقسوة بخصوص ما قلته في توبيخ الوجهاء. وقلت: " إنه من الرأي ومن الحق التوجه إلى الوجهاء الذين ألقيت على عاتقهم المسؤولية. لأن الرجلين يمشيان بعد الرأس".

ويوم السبت المقدس نزلت الأمطار زهاء الساعة، ثم توقفت وسقطت ليلة الأربعاء أمطار بركة. وجلست قاضيا مع الحاخامات في المدرسة الجديدة طوال الأسبوع. وجاء الكثيرون لإعلان التوبة من النهب. والإنسان في مقامه يأتي بالسلام.

قال شاوول: سأسجل لك ما جرى لي مع مناحيم سانانيص وأنا أقسم أن كل الذي سأحكيه كلمات حق، لا زيادة فيها ولا نقصان." حينما عدت الى بيتي كنت كئيبا. وجال في خلدي أن لا أوبخ أحدا ثانية. وبعد هذا راجعت قلبي، فربما كنت على خطأ. وعلى الرغم من توبيخهم لي، أرى إهانتهم كما هو مكتوب لفي سفر اللاويين الإصحاح التاسع عشر، 17]. كان بنو إسرائيل يهينون ويشتمون الأنبياء، ورغم كل هذا كان الأنبياء يوبخون بني إسرائيل. طفقت أفكر في هذا الأمر زهاء ساعتين هل أقول أم لا؟هل أوبخ أم لا؟ وبعد ذلك أخذت كتاب التوراة وصليت للرب تعالى، وطلبت منه أن يجيب عن سؤالي لأعرف الذي يتعين علي القيام به. وبينما أنا أصلي: فتحت الكتاب وكان الرد على رأس الصفحة: " فإذا قلت للشرير: أنت لا بد ميت، وأنت لم تنذره ولم تحذره عن طرقه الآثمة فيحيا. فإن ذلك الشرير يموت بذنبه. أما دمه في يدك أطلبه. وكان مدخل الموضوع: "يا ابن آدم، قد جعلتك رقيبا لشعب إسرائيل. فاصغ الى كلمتي وأنذرهم بها على لساني: " [سفر حزقيال الإصحاح الثالث،

17–18]. وسرني هذا. بعد ذلك قلت في صلاتي: " يارب العالم، أنت تعلم قصدي، أجبتني إجابة واضحة، لهذا أجبني جوابا ثانيا". وفتحت الكتاب وجاء الحظ: " ثمر الصديق شجرة حياة ورابح النفوس حكيم.. " [الأمثال، الإصحاح الحادي عشر، 30- 31].

وبعد ذلك: " من يحب التأديب يحب المعرفة " [الأمثال الاصحاح الثاني عشر، 1] و" لا يثبت الإنسان بالشر " [الأمثال الاصحاح الثاني عشر، 3].

وكتبت هذا يوم الجمعة الثاني عشر من شهر آيار (13 ربيع الأول عام 1022هـ موافق 3 ماي 1613م). ولحظة كتابته، نظرت وصليت وقلت:" يارب العالم، جَلِيٌّ و معروف عندك أن غرضي من التوبيخ كان فقط ما أصنع لأن ما أصنع من الخطر. وأنا أخاف من الأشرار.. ومن لنا أكبر من السموأل النبي عليه السلام:"إن بلغ شاوول الأمر يقتلني" [صموئيل الاول الاصحاح السادس عشر، 2].

ويوم الثامن عشر من شهر آيار من السنة المذكورة (19 ربيع الأول 1022هـ موافق 9 ماي 1613م) جاء أناس من مدينة مراكش وأخبرونا أن الرب تبارك وتعالى أشفق عليهم من الضرائب. لأن القائم [الحاكم] أنذرهم كثيرا فيما سبق بواسطة إبراهيم بن واعيش الذي كان مع الملك مولاي زيدان وعاقبهم بأكثر من مائة وثلاثين ألف أوقية في تلك السنة، حتى فر أكثرهم، وبَدَّل قليل منهم معتقده. واحتجز القائم زوجة إبراهيم بن واعيش، وعذبها عذابا قاسيا، وعاقبها بمائة وخمسين ألف أوقية. وكان مولاي زيدان في الجبال القريبة من المدينة فارا من القائم. وكان يَذِّلُ بينما كان القائم يتعظم. وفي يوم الخميس السادس والعشرين من ايلول، قتل الطاغية المضيق على إسرائيل على مزيان.

قال الكاتب: أعني بالطاغية، أنه كان كالمدنس الخياط بن منصور الذي كان في زماننا مع الملك مولاي إسماعيل سنة 5432 لبدء الخليقة، وضيق على بني إسرائيل، وعاقب اليهود كثيرا، وتسبب لهم في خسارة مال كثير،

وأحرق الحبر الأجل إسحاق بن عمارة، وابنَه، يوم الجمعة عشية السبت المقدس حادي عشر تموز من السنة المذكورة. حتى مل اليهود حياتهم. وبعد ذلك قُتِل هو (أي الخياط بن منصور) على يد القائد الغازي بوحفرة. ذبحه وسلبه كل ماله. هكذا يهلك أعداء الرب، ويهلك كل أعدائنا، ومن لم يسدد من المتقدمين يؤد مع المتأخرين. فلتكن المشيئة كذلك. وبعونه تعالى وتبارك سأكتب فيما بعد كل ما حدث لنا في أيامه. قاله السموأل بن دنان.

وفي سنة 5374 لبدء الخليقة، ورد الخبر من الشرق، بأن القائد بوليفة قتل مولاي الشيخ وقائده سي بو كبيرة. قتلوه وأخاه وكل الوجهاء الذين كانوا معه. وكانوا [أي أتباع القائد بوليفة] يحملون رؤوس القتلى بأيدهم، ويصيحون: " هكذا يُصنْع بمن رضي بإعطاء العرائش للنصارى. وذهب بوليفة المذكور الى القصر [الكبير] لمحاربة النصارى، وأرسل إلينا نحن اليهود للصلاة عليهم. ويوم عيد التوراة [آخر يوم من أيام عيد المظال] صلينا، وأعطينا ألفي أوقية بحزن كبير. الرب تعالى، يخرجنا الى النور، فلتكن المشيئة كذلك.

ويوم الثاني والعشرين من شهر حشوان من السنة المذكورة(الأربعاء 23 رمضان 1022هـ موافق 6 نوفمبر 1613م)، جاء الخبر بأن مولاي زيدان انتصر على القايم وأسره. وكان ثمن الحنطة مائة وعشرين أوقية للصفحة. وذهب الملك مولاي عبد الله مطاردا لبوليفة المذكور الذي قتل أباه مولاي الشيخ المذكور.

وفي الخامس من شهر طيبث من السنة المذكور (الثلاثاء 5 ذي القعدة 1022هـ موافق 17 دجنبر 1613م)، ورد الخبر بأن القايم المذكور قُتل، وقُتل ابنه القائد عزوز. وفي هذا اليوم نفسه قتل سي سليمان مولاي إدريس الذي في فاس البالي.

من يستطيع أن يعد محننا؟ . ففي اليوم الخامس والعشرين من شهر طيبث المذكور (الإثنين 25 ذي القعدة عام 1022هـ موافق 6 يناير 1614م) بلغ

ثمن صحفة من الحنطة مائتي أوقية. ومات من الناس أكثر من ستين شخصا في اليوم، ولم يمت من اليهود أي أحد.

ويذكر الرب من حسناتي، أنني كنت مغموما حينما توليت آذارة المالية مع الخازن الحبر الأجل حاييم بن عطار والحاخام التام الديان سيادة أستاذنا الحبر الأجل السموأل بن دنان.

وبلغ ثمن المد من الحنطة يوم الأحد تاسع شباط من السنة المذكورة(8 ذي الحجة عام 1022هـ موافق 19 يناير 1614م)، ثلاثمائة أوقية، ومات من الناس أزيد من سبعة آلاف شخص.

قال شاوول: اذا أحصيت كل الوقائع المتعلقة بنا، عددتها مهما كثرت. فلما اشتدت المجاعة مات من الإسرائليين أكثر من مائة وخمسين نفسا، ومن غيرهم أكثر من سبعة آلاف. والناجي من المجاعة كان يسقط في الإبادة، لأن كل الطرقات كانت غير مأمونة. والمجاعة التي كانت في سنة 5366 لم تَطُلْ مثل مجاعة سنة 5374 المذكورة. ولم ينصرم يوم إلا وكثرت محنه بالضرائب والأحزان.

الله يلطف بشعبه إسرائيل. فلتكن المشيئة كذلك. وتُجعل لمصائبنا حدا بزكاة الرب القوي. فلتكن المشيئة كذلك.

ومما وقفت عليه في كتابات الحاخام التام الديان المعلم سيادة أستاذنا الحبر الأجل شاوول سيريرو طيب الله ذكراه. في سنة 5376 لبدء الخليقة ، في الثاني من شهر أيار(الثلاثاء 2 ربيع الثاني عام 1025هـ موافق 19 أبريل 1616م) صمنا ثلاثة صيامات بعد انقباض المطر. ذهبنا الى مدخل الملاح حيث توجد قبور الذين قتلوا على قداس الرب. وذهبنا كذلك الى المقبرة التي في مدخل باب اليسلاميين . وهطلت الأمطار، وكانت عظيمة؛ فذهبنا الىبيوتنا، وفي الغد قرأنا باسم الله هليل الكبير.

قال الكاتب: يلاحظ أن التاريخ الذي وقفنا عنده، هو تاريخ سنة 5376 لبدء الخليقة. والآن نحن في تاريخ سنة 5380. كتبه شاؤول سريرو طيب الله ذكراه.

وفي رأس شهر تموز من سنة 5380 (شعبان 1029هـ موافق يوليو 1620م)، غادر بعض اليهود المدينة من كثرة الضريبة التي ثقلت عليهم. وفي هذا الشهر، قتل الشاب ابن إشعياء بن شنيور. وزاد من محنتنا أن ذلك كان من اليهود الأشرار الذين أفسدهم طبع الذهب.

وفي الثامن والعشرين من شهر تموز من السنة المذكورة (الأربعاء 28 شعبان عام 1029هـ موافق 29 يوليو 1620م)، ورد الخبر بأن مولاي عبد الله انتصر على العرب مع ابن جدار شيخهم.

وفي شهر تشرين من سنة 5381 لبدء الخليقة (ذي القعدة عام 1029هـ موافق شتنبر 1620م)،خرج الملك خارج المدينة. وأُغلقت الأبواب في اليوم الثاني لعيد المَظَال.وكَثُرت السرقة في الليالي، والنهب والسلب في النهارات.

وفي السابع عشر من شهر حشوان (الجمعة 18 ذي القعدة عام 1029هـ موافق 13 نوفمبر 1620م)كانت حرب بين أهل فاس البالي وبين أهل فاس الجديد، وأوشكوا أن يكسروا الأبواب والملك مع العرب.

وفي اليوم الثاني من شهر حشوان، قررنا صوم ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث فُتِحت الأبواب وأُقر السلام بين أهل فاس البالي والملك .

قال شاؤول :"من يحدث بمحنتنا؟ من يسمع المصائب التي تحدث لنا كل يوم؟ فيوم البوريم (الغفران) من سنة 5381 أعطينا عشرة آلاف أوقية خارج خسائر أرباب البيوت من اليهود. وكانت الطرق مقطوعة. وبعد أيام تمرد أهل فاس البالي على الملك مولاي عبد الله، ونصَّبوا عليهم رجلا اسمه علي بن عبد الرحمن. ولم تكن هناك فائدة للملك من كل فاس البالي. وكانت القبائل تأتي كل يوم لتخدع الملك بكونها تخوض الحرب معه. وكان الملك يُعطيها الهدايا

المحصلة من اليهود. ولما أفلس راح يكسر الأنفاض التي كانت له ليصنع منها قطعا نقدية صغرى.

وفي أول شهر سيوان (الجمعة 29 جمادى الثانية عام 1030 هـ موافق 21 ماي 1621م)، جاء ابن جدار مع ألف فارس. ويوم الرابع عشر منه، دخل الملاح مع فرسانه وقال: " إن اليهود أدخلوهم" . وأقفل اليهود بيوتهم عليهم. وكسرت بيوت عديدة. وبات بالملاح ليلة السادس عشر من الشهر المذكور، زهاء ألف فارس. ومنهم من نهب بعض البيوت. وفي الصباح اشتكى اليهود للملك، فتوقف السلب. وفي نفس الأسبوع أعطى اليهود ألفي أوقية عدا النفقة. وكان الملك خارج المدينة مع العرب ورجال السفلى، وخاضوا حربا مع أهل الطّلْعَة. وأحرقت بالنار بعض غلال السفلى. ولم يسمح لأي أحد بالدخول إلى فاس البالي إلا أهل الطلعة.

ويوم السبت، خامس شهر تموز من سنة 5371 لبدء الخليقة (15 ربيع الثاني عام 1020هـ موافق 26 يونيو 1611م)، حارب أهل السفلى أهل الطلعة، وهزموهم، ونهبوا بيوتهم، وفروا الى فاس الجديد. واجتمعنا في بيعة التوشابيم (الأصليين)، رعاهم ربهم وأبقاهم، وطلبنا الغفران ببكاء. وعَظُمَت الحرب يوما بعد يوم. وانتصر أهل السفلى على أهل الطلعة. وكسر أهل القصبة أبوابها. وفتحت باب البوجات، وأقفلت باب السباع.

وفي اليوم التاسع من شهر آب ألقوا السَّلَمَ. وفتحت الأبواب، وجاء القائد المازني إلى القصبة ومعه علي بن عبد الرحمن. وقال: إنه سيجبي " العشور " وكل مستحقات الملك ليرسلها إليه. الله يُنهي هذا الأمر بالحسنى. ولم تنقض ثلاثة أيام حتى عاد أهل البلاد لغدرهم.

الرب يرى أحزاننا وضيقنا لأن كربنا عَظُم. صدِّيق هو الله، إنه سيدنا، وهو الذي ينهي مصائبنا.

اليوم، فاتح شهر طيبث من سنة 5382 لبدء الخليقة (الثلاثاء 30 محرم عام 1031 هـ موافق 14 دجنبر 1621م) ، قبض على بعض يهود الطائفة. وكنا نخفي

أمولنا في النهار وأسناننا ترتعد من اللصوص. لأنه ليس هناك أسبوع إلا وسرق بيتان. وصدق علينا القول: " وتقولون في الصباح المساء وفي المساء يا ليته الصباح من فرط ارتعاب قلوبكم " [سفر التثنية، الاصحاح الثامن والعشرون، 67] .

قال شاؤول: اذا رُمْتُ الحديث عن كل المصائب، فلن يتحمل أي كتاب ثقلها. في أول شهر آذار من سنة 5382 لبدء الخليقة (30 ربيع الأول 1031هـ موافق 11فبراير 1622م)، أدينا ضِعْف الضريبة. ومن أول آذار بدأت الحرب بين رجال الملك وبين اللمطيين الذين كان لهم أكثر من ثلثي البلاد، وكان قائدهم علي بن عبد الرحمن مع قبيلة زراهنة، وكانوا يحاربون وسط المدينة كل يوم. ويوم البوريم، وبسبب ذنوبنا الكثيرة، توفي نور أعيننا الحاخام التام، الفاضل سيادة أستاذنا الحبر الأجل السموأل بن دنان طيب الله ذكراه. وقلت عنه : لم يمت السموأل، والقضية: " صوت الشعب المتأهب للقتال " [سفر الخروج الإصحاح الثاني والثلاثون، 17]، و"كان صموئيل قد مات وناح عليه الإسرائيليون "[صموئيل الأول الأصحاح الثامن والعشرون، 3]. الله تبارك اسمه يجعل موته كفارة لنا، ويجعل حدا لمصائبنا.

وبعد مرور الفصح، كثُرت علينا الضرائب ومُنع الغيث. وقررنا صيام يوم الخامس من شهر أيار. وفي منتصف الليل رأيتُني أقرأ في الحلم فصل " تتغطى المروج بالقطعان " [المزمور الخامس والستون، 14].وفي الغد بعد صلاة الصباح سقطت أمطار المشيئة. وذهبت الى بيتي مسرورا ونَقَّبت في التوراة فكان الجواب " إمض الى منزلك واغسل رجليك " [صموئيل الثاني الاصحاح الحادي عشر، 8].

وبقى الملك خارج المدينة من يوم العاشر من شهر أيار 5382 لبدء الخليقة (الأربعاء 9 جمادى الثانية عام 1031هـ موافق 20 أبريل 1622م)، إلى الذي يليه. وجاء السَّارقون في الليل بالفؤوس لكسر الأبواب. وجاء الحراس، وانضافت علينا مكافأة الحراس. وذهب الملك الى الجبل. وكل أسبوع كان العدو المعتدي حمدون يأتي ويأتي بالقراطيس ويجمع الضريبة. ويوم عيد العنصرة جاء فهرب

اليهود، فقبض علي وسجنني بدار الملك. وحين سمعت الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، بهذا فزعت فزعا شديدا، وصاحت بصوت مرتفع، وتصالحت معه، فأخلى سبيلي في المساء.

وكان في هذه الليلة أن دخل ابنا حمدون للملاح، وهما شريران كبيران، وأفنيا الليلة في الملاح في بيت مطلقة أكرهاها على الخطيئة. وكان معهم يهود أشرار بالدف والكمان. وجاء اللصوص الذين كانوا يأتون الملاح كل ليلة، وسمعوا صوت المزمار، فدخلوا عليهم وطعنوا اليهود وابني حمدون بالسيف. وقتلوا مسلما آخر. وكانت ضوضاء كبيرة لا مثيل لها. وبكينا نحن التعساء بكاء عظيما، وخشينا أن يتهمنا أبوهما الشرير.

وكان ابنا حمدون جبارين وأصحاب بطولة. ومع نور الصباح جاؤوا لإخراجهم من الملاح. واتهم الشريرُ اليهود. ولم يكن الملك بالمدينة، وكنت مختبئا في بيت قائد العرب.

من يستطيع ان يَعُد الغم الذي مر بنا. لقد كان الشرير يبحث عني. وكل يوم كان يُسيء إلى اليهود، ويدعي أن اليهود قتلوا ابنيه. وأرسلت من المكان الذي كنت مختبئا فيه، خطابا تلو الخطاب إلى كل قواد الملك، وإلى النجيد الحبر الأجل يعقوب روتي، رعاه ربه وأبقاه، الذي كان مع الملك. وخرجنا من الظلمة الى النور بكثرة الهدايا. وذهب الشرير عند الملك وخيَّبَ الملك أمله وقال له: "إن اللصوص هم الذين قتلوا ابنيك." وأرسل له القاضي الشيخ الذي بفاس البالي مؤكدا هذا الأمر.

وكان حمدون يأتي إلينا كل أسبوع ليجبي ما يريد خارج الحق الواجب علينا أداؤه للحراس، وعدا الخمر ما يعادل تسعمائة أوقية.

وفي شهر حشوان من سنة 5383 لبدء الخليقة (ذي الحجة 1031هـ موافق أكتوبر 1622م)، ذهب الملك الى مدينة القصر، لأن الخبر ورد عليه بأن أخاه مولاي محمد طُرِد من طرف أهل القصر. وفي الخامس عشر من شهر كسلاف

(الثلاثاء 4 محرم 1032هـ موافق 8 نوفمبر 1622م) جاء اللصوص إلى بيتي في منتصف الليل، وأرادوا اقتحام البيت من النافذة بواسطة " السُّلْبَة " [حبل]. وقبل أن يصلوا الى النافذة استيقظ ابن أخي الربي داود، وسمع صوتا من النافذة، ونظر منها، فوجد رجلا قريبا منه، فصاح صيحة عظيمة، ورأى كذلك زهاء عشرة رجال، رماه أحدهم بسهم استقرت حديدته في عارضة السقف. وكان هؤلاء الرجال من البَلَد. وأنقذنا الرب تبارك وتعالى برحمته. رميناهم بحجارة كبيرة ففروا وتركونا ثم توجهوا الى بيت اليهودي مناحيم سنانيص. كسروا باب البيت فانسحبوا حين رماهم أهل بيت اليهودي المذكور بالحجارة.

وذهبت في هذا الشهر الى صفرو لتعاظم السلب ولصوصية الضعفاء وآهات الفقراء فيها. مكثت هناك خمسة عشر يوما. وأرسلتِ الطائفةُ ورقات وردت من عند السلطان ومن القواد إلى الشيخ علي، حاكم قرية صفرو، تقضي بأن يرسلني. وكذلك فعل. وكَرمني اليهود كرما كبيرا، وأرسلوني. وعَزَلْتُ نفسي بسبب النهب الذي طال الضريبة، ولزمت بيتي، ولم أخرج الى السوق لعلي أصحح تشويه الزمن.

قال شاؤول: إذا رمت تسجيل قليل من المصائب التي مرت بنا، تنتهي الورقة ولا ينتهي الكلام. لذلك سوف أوجز: فَقَدَ بعض الأفراد أموالهم بسبب الوشايات، وفر البعض ليُسلب في الطريق. وأقلقتنا الأخبار السيئة التي وردت علينا هذا الشهر من مدينة القصر؛ فقد مات بعض الناس، والبعض فقد أمواله. وكان مولاي محمد السبب في ذلك حتى قام ضده أهل مدينة القصر، فخرج من المدينة هاربا، وعادت معه قبائل العرب والبربر ليضربوا حصارا على المدينة، وذُلت إسرائيل كثيرا.

وبينما الأمر كذلك، ورد الخبر بالخراب والدمار الذي حل بمدينة تافيلالت عند ما تمرد القايم واسمه السي بوزكري. وكان اليهود هناك محاصرين. فبيع رأس الحمار بأوقيتين، ومات يهود كثيرون بالمجاعة، وهلك

الباقون بالسيف لحظة فرارهم، وأسرت نساء كثيرات، وبيعت بين الإسماعليين، وحطمت كل بيوت اليهود، وخربت البيع، وديست أسفار التوراة، وعُلِّقَ زعيمهم على شجرة حيا حتى مات مصلوبا بمسامير.

لهذا أتفَجَّع وأنوح. الرب تبارك اسمه يجعل حدا لمحنتنا.

ومساء فاتح شهر سيوان سنة 5383 لبدء الخليقة (الثلاثاء فاتح رجب عام 1032هـ موافق 30 ماي 1623م)، اتهموا يهوديا فِرْيَةً وقتلوه بفاس الجديد. ويوم فاتح شهر سيوان، مرض الملك مرضا شديدا، الرب تبارك اسمه - يخرجنا الى النور.

وليلة الرابع عشر من سيوان (الإثنين 13 شعبان عام 1032هـ موافق 12 يونيو 1623م) توفي الملك مولاي عبد الله. وبعد دفنه بويع مولاي عبد الملك وكان ابن خمسة عشرة سنة، وكان رمزا حسنا لإسرائيل. لقد أضاء اسمه ظلامنا، وفعل معنا معجزات، وكثر جدالنا، وانتقم لنا انتقاما. وشرع الأمن يستتب في الطرقات، إلا ما كان من أمر بعض اللمطيين الذين لم يُلقوا السَّلَمَ. واليهود اليوم يذهبون وحدهم الى قرية صفرو. الله يتم علينا النعمة فلتكن المشيئة كذلك.

وفي شهر أيلول بدأ الإختلاط، وتمرد اللمطيون على الملك، وتضررت الطرقات. ويوم الجمعة بعد الصلاة، ذهب القاضي الشيخ ابن التسعين إلى بيت الملك، وقتل حين عودته من طرف اللمطيين، وكان رجلا فاضلا يحب اليهود. وانتابنا الذل بذنوبنا، لأن السلطان وقع في قبضة القائد علي بن موسى، وكان أمر هذا الأخير نافذا في كل المملكة.

وفي الخامس من شهر تموز (الإثنين5 رمضان 1032هـ موافق 3 يوليو 1623م)، تضاعفت الضرائب، وأقفلت الطرق، وانتشر الوباء، ومات أزيد من أربعين ومائة شخص ممن تلزمهم الضريبة من الطائفة. ومات من الفقراء أكثر من مائتي شخص، ومن الأطفال أكثر من ثلاثمائة. ولم ينج الا أربعة أو خمسة

أشخاص من أغنياء الطائفة، أنقذوا أموالهم بأموال الشعب التعس، وفيهم قيل: "قد امتلأ أثرياء المدينة ظلما " لميخا الإصحاح السادس، 12]. الرب تبارك يخرجنا من الظلمة الى النور.

وفي فاتح شهر نيسان ألقى العرب السلم للملك، وأبى اللمطيون والأندلسيون، وتحالفا فيما بينهما. ولم ينفذ أمر الملك إلا على اليهود. وذل اليهود.

وفي شهر تشرين من سنة 5386، استشرى الوباء وأقفلت المدينة، وجنح محمد بن الأشهب ومحمد بن العربي إلى السلم.

وفي سنة 5387 شفانا الرب تبارك اسمه من الوباء. وفي شهر حشوان، جاء أحمد بن العربي الشرير الكبير. أمسكوا الملك بالحيلة وعلقوه على شجرة. وحتى اليوم، عيد العنصرة، لا زال الوباء يزداد انتشارا. ومات ما بين خمسين وستين شخصا في اليوم. مات خمسة أو ستة من اليهود في اليوم. ومات كثير من الناس بصفرو ومكناس. الرب يصرف غضبه عنا. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي شهر كسلاف، ذهب الربي مناحيم أخي الى مدينة النصارى العرائش. وليلة السبت الثاني والعشرين من شهر أيار سنة 5384، على الساعة الواحدة قبل الفجر، كان زلزال عظيم. من يلهج بعظمة الرب؟. وكان زلزالا عظيما لا مثيل له، ولا سمعنا به في زماننا، ولا خبرنا أباؤنا بمثيل له. تزعزع العالم، وسقطت دور كثيرة. وصنع الرب تبارك اسمه، معجزة كبيرة لإسرائيل، حيث سقط جدار كبير مقابل للسوق ولم يخلف ضحايا. ولو سقط بالنهار لقتل نفوسا كثيرة. وقد كسر ذلك الجدار كل البيت(يعني هنا البيعة). وسقطت بيوت كثيرة بالملاح ولم يمت أحد. ومات بفاس الجديد أحد عشر إسماعيليا [مسلما]، وفي فاس البالي هلكت أكثر من ألف وخمسمائة نفس، وخُرقَ سور الملاح، وسقطت بمدينة صفرو أربعة بيوت ولم يمت أحد. وهلك

شخصان بمدينة مكناس وتحطمت صومعتان، ولم يمت أحد من بني إسرائيل. ولم يستغرف الزلزال أكثر من ربع ساعة.

واجتمع كل سكان الملاح وقت صلاة العصر. وذهبوا إلى بيعة التلمود، وهناك قرأنا المزامير وأذكار الشكر، وقمت هناك وخطبت. وكان الموضوع: " زلزلت الأرض وصدعتها" [المزمور الستون، 4] ودعوت السامعين من الطائفة إلى التوبة. وبعد الصلاة خطب الحبر الأجل يعقوب حاجيز رعاه ربه وأبقاه. وإلى اليوم كانت غيوم ورعد.

ويوم الأربعاء قبيل الليل، مساء عيد العنصرة، كان رعد شديد استمر زهاء ساعتين، وسقط بَرَدٌ عظيم كحجارة كبيرة فكسر الأواني. ورأيت أن حبة واحدة من هذا البَرَد كانت بحجم نصف بيضة عظيمة. وقال شهود عدول: إنهم وزنوا بعضها فكانت كل واحدة تعادل أربعة مثاقيل. ولو استمر سقوط ذلك البرد ساعة واحدة لحطم البيوت. وحدث هذا داخل المدينة. ولم يكن خارج المدينة بَرَد. وهذا يدل على عظم ذنب سكان المدينة.

ويوم الخامس من شهر سيوان، بعد منتصف النهار، كان ضباب كثيف حتى أظلم اليوم. و[قصفت] بعد ذلك رعود شديدة، وسقط بَرَدٌ ونزلت أمطار شديدة، بقدر لا يمكن تصوره. وجرى الماء كالنهر. وكادت بيوتنا أن تتحول إلى قبور لنا، إلا أن الرب تبارك اسمه تداركنا.

وورد الخبر من مدينة سلا، أن الزلزال أسقط صومعتين. وما حدث في فاس لم يحدث في أي مكان، مما يؤكد أن الذي حدث كان بذنوبنا.

وكانت الضرائب تتكاثر علينا يوما بعد يوم. ولم ينته أسبوع دون أن تنهب أربعة بيوت أو خمسة. وكانت بعض البيوت تسقط من تلقاء نفسها، وكان بعضها يهدم بالأيدي. ومنذ يوم الزلزال عمت الغيوم حتى أنه كانت تمر بنا ثلاثة أيام دون أن تظهر الشمس.

ومما وقفت عليه مكتوبا باسم الحبر شاؤول سيريرو طيب الله ذكراه: أنه في شهر حشوان من سنة 5399 (جمادى الثانية عام 1048هـ موافق أكتوبر 1638م)، جاء مولاي محمد الشيخ سمت جلالته. وجاء معه عسكر كثير، حتى قال الناس أنْ ليس هناك من الملوك بالعالم من جاء بجند مثل هذا. وجاء معه تجار يهود ونصارى. جاءوا بتجارة كثيرة. وكان الجند يلبسون كُسًى مُطرزة وأدوات من فضة وذهب. وقيل إنه أتى بألف ومائتي خيمة. وكان الملك المذكور رجلا فارسا يكره الرشوة، يحب الفقراء و المنكسرين، ويتبع الحقيقة. وخطب في جيشه قائلا: " الرجل الذي تمتد يده الى المطامير فيأخذ شعيرا أو حنطة سيتعرض للموت."

ويوم الثلاثاء حادي عشر حشوان المذكور (11 جمادى الثانية عام 1048هـ موافق 19 أكتوبر 1638م)، عند الصباح، حين ظهرت الشمس على الأرض، والملك سمت جلالته نائم في قصره الضخم، قام ضده عسكر الفقراء بقيادة سي محمد بو بكر، وضع كل معسكر الملك. وأخذوهم على غرة، فحاربهم البعض، وفر البعض الآخر وتمرد على الملك. ونجا الملك وهدأ المعسكر. وجاء الفقراء والبربر، فنهبوا مالا كثيرا من الخيام المذكورة، ونهبوا أدوات متعددة: نهبوا أَوَانيَ من ذهب وأواني من فضة وأحجار كريمة. وكانت المعركة المذكورة في المكان المعروف بوادي العبيد المسمى كذلك بوعجبة. الرب تبارك اسمه يحكم لنا في سلام. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي مستهل شهر آذار تصرف ولي الزاوية بدهاء حتى أمسك[المتمردون] بالملك وقتلوه، وقتلوا القائد السي محمد بن جدار. واشتدت قوة الولي، وحلت مصائب كبيرة بكل أحواز فاس والقصر وتطوان من كثرة الضرائب، وأقفلت البيع ولم يعد اليهود يجتمعون للصلاة بنصاب العشرة [نصاب الجماعة]، وأوقف تعليم الأطفال هنا وفي الزاوية، وقُتل ثلاثة يهود بتطوان، وعلقت امرأة وابنها على شجرة، وخسر اليهود آلافا من الأوقيات.

الله تبارك يجعل حدا لمصائبنا. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي سنة 5410، يوم الثامن من شهر كسلاف (الجمعة 7 ذو القعدة 1059هـ موافق 12 نوفمبر 1649م)، ليلة السبت، كانت ريح عاصفة من جهة الجبال، كسرت الصخور، وسقطت بعض الدور بفاس البالي، وهلك من الناس مائتين، ونجا الولي الصالح، ونجا معه أهل فاس الخاضعون له. ومات القائد عبو بغتة، وحَسِبَ اليهود موته هدية لهم. وراحوا يناشدون الولي بتخفيض الضرائب التي عليهم. وذهب الحبر الأجل إسحاق السرفاتي النجيد يطلب نفس الأمر كذلك. وكثرت الأحزان بكثرة ذنوبنا. وسلم الولي الأمر للقائد بو بكر التامري.

وفي سنة 5413 لبدء الخليقة، يوم الخامس عشر من شهر أيلول (السبت 15 شوال عام 1063هـ موافق 7 شتنبر 1653م)، أرسل له يأمره بتحطيم البيع التي بالملاح. آه لمن عاين ذلك في أيامه. ويوم الثامن عشر من أيلول هدم، بسبب ذنوبنا الكثيرة والعظيمة البيت الكبير، بيعة التوشابيم [الأصليين]. ويوم الثالث والعشرين من أيلول هدمت بيعة الميغوارشيم [المهجرين] وخسر اليهود رشاوى كثيرة ولم يُستجب لهم. وأُخذَتْ كل البيع، عدا أسفار التوراة التي أنقذناها ببعض الرشاوى.

ومما وقفت عليه في كتابات الحاخام التام الفاضل الحبر الأجل السموأل بن دنان المنسوخة من كتاب الحبر الأجل ميمون بن دنان طيب الله ذكراه، أخو شيخنا الحبر الأجل السموأل:

في سنة 5391 لبدء الخليقة، في شهر أيار، حدثت معجزة عظيمة لم يحدث مثلها في جيلنا؛ زلزلت الأرض زلزلة عظيمة، واهتزت الجبال، وانكسرت الصخور. استمر الزلزال قرابة ساعة قبيل السحر. انكسرت البيوت، ومات بفاس البالي ألفين ونصف، ومات من الأطفال ما لا يعد. وكانت بيوتهم قبورا لهم. ولم يمت أحد من إسرائيل. تبارك الذي فَضْلُهُ مُعْجِزٌ. الرب يعجل بعث المنقذ.

ولما كان ذلك الأمر معجزة عظيمة كتبته هنا. قاله ميمون بن دنان. إلى هنا تنتهي إفادته.

ومساء عيد العنصرة، يوم الأربعاء، تلبدت السماء بالغيوم، وسقطت من السماء قطرات ضعيفة. وصاحب ذلك رعد شديد. ونزلت من السماء أحجار عظيمة بغيظ كبير. وذُهل كل سكان المدينة. وسمعنا أن البعض وزن حبة واحدة من البرد فوجدها تعادل أربع أواق. وأكثر من ذلك، أنها كانت تنزل على رؤوس الذين كانوا في السوق فتؤدي الى جروح.

ودخلت حبة بَرَدٍ بيت الربي موسى الموسنينو، رعاه ربه وأبقاه، من إحدى النوافذ فكسرت القنديل. الله يصرف غضبه عنا، ويقرب لنا سنة الخلاص. قاله الصغير سعديا بن دنان السيفردي الطاهر.

وسمعت كذلك أن أسدا دخل فاس البالي من باب الجيسة، وقتل حماراً وأخذ حماراً آخر. ولا ندري هل هذا الكلام حقيقي أم لا. وذلك الخبر صحيح بدون شك، لأن كثيراً من الكوييم [المسلمين] يؤكدونه، ولهذا، رأيت أن أسجله هنا. كتبه الصغير سعديا بن دنان.

وفي سنة 5394 لبدء الخليقة ،مات مولاي عبد المالك بن مولاي الشيخ يوم الاثنين حادي عشر أيلول الجاري (11 ربيع الأول عام 1044هـ موافق 4 شتنبر 1634م). وفي اليوم نفسه نِصْرُوا لمولاي محمد أهل فاس الجديد، خَاهْ ذِي مُولاي يَاسِر مَا صَابُوا فِيهْ ما يْجِيبُوا. فِي الساعة نِصْرِتْ العُولام [الناس] الكُلْ لْمُولاي زيدان. الله تبارك يْجَعْلُو مِسْعُودْ عْلِينَا. وللبينة قيدت اسمي هنا يوم الإثنين الثالث من شهر تشري عام 5394. الصغير العبد الرحيم والرؤوف سعديا بن دنان.

بسبب خطايانا العظيمة، ليلة السبت الحادي عشر من شهر آذار سنة 5397 لبدء الخليقة (10 شوال عام 1046هـ موافق 7 مارس 1637م) طَاحْ فِي الزنْقَة دْيَالْنَا السور، طَاُحوا مِنُّو سِتْ لْوَاح، ونْهَرْسُو ثلاثة دْيَارْ، وُمَاتْ فيهم خمسة أنفس، عدا امرأتين كانتا حاملتين.آوٍ لِمَا تَرَاهُ أعْيُنُنَا.

وكتب كذلك طيب الله ذكراه: وفي نفس الأسبوع ، حدث أن كانت في دار ابن طليلة زانية منبوذة، زوجة موسى بن طليلة. كانت على علاقة بأحد المسلمين، وغيرت عقيدتها.

آهٍ لِمَا تَرَاهُ العيون، وآهٍ لِمَا تَسْمَعُهُ الآذان.هذه كلمات الصغير سعديا بن دنان السيفردي الطاهر.

وفي سنة 5398 لبدء الخليقة، يوم الثلاثاء السابع من آذار الثاني، ذكرى وفاة سيدنا موسى عليه السلام، كان زلزال عظيم في العالم، استمر زهاء الساعة. وضجت المدينة بصوت الزلزال، وحسبنا أنفسنا موتى. وخال كل فرد أنه الناجي الوحيد بالمدينة. وترك كل واحد دكانه مفتوحا وفر يطلب النجاه لنفسه. وكان الناس بفاس البالي وفاس الجديد في غم كبير، حتى أن كل واحد ترك دكانه مفتوحا، لم يطمئن قلبه بما فيه. وكان الزلزال في الثلث الأول من النهار. [هذا ما وقفت عليه مكتوبا في مخطوط للحبر الأجل سعديا بن دنان طيب الله ذكراه].

وفي اليوم الموالي، مساء السبت المقدس، خسفت الشمس. ودام الخسوف ساعتين، ولم يبق من حجم الشمس إلا ما يماثل القمر في الثلاثة أو الأربعة أيام الأولى من الشهر. كتبه الصغير، العبد الفقير والرؤوف، سعديا، وأكده إبراهيم بن الربي السموأل بن دنان.

وبذنوبنا الكثيرة توفي الحاخام التام الفاضل سيادة أستاذنا، الحبر يعقوب حجيج، طيب الله ذكراه، ليلة السبت، الحادي عشر من شهر كسلاف سنة 5402 لبدء الخليقة. وصنعت الطائفة له إكراما كبيرا. جعله الرب تعالى تكفيرا للجيل، فيأمر الملاك المدمر بأن يمسك يده. فلتكن المشيئة كذلك. قاله الصغير سعديا بن دنان.

ومما وقفت عليه مكتوبا، إنه في سنة 5399 جَا خْبَار مِنْ مراكش أنْ نْزِلْ عَنْدْهُمْ السابين [السيل] يوم الثاني من شهر نيسان المعظم (2 ذو الحجة عام

1048هـ موافق 6 أبريل 1639م)، بْقَى حِتى لْيُوْم السادس في الظهور. ورفد، وفي دِيكْ الساعة دْخَل الماء دِلْوَادْ والماء دي السما وُعَبا وَاحَدْ المُوضَعْ يْقُولُولُو الصالحة في الملاح ذي ليهود. فِيهْ قَدْ مْيَاتَيِنْ دَارْ ذي لِيهُوْد، وكذلك دْيَارْ أخرين قَدْ خمسين دارمن موضع آخر يْقُولُو لُو المطامر. وطرأ في المْسَاكن ذي ليهود هجرة عظيمة، ذي ما خرجوا من ديارهم حتى حاجة. ما بقاوا لا ديار ولا مال. وسبحان الله تبارك. ما مات أحد من اليهود. ومِنْ المسلمين ماتُوا قَدْ أربعمائة وثمانين.

وفي الجمعة المذكورة، من العام المذكور، جَا هذاك السيل، في تافيلالت وهْدِمْ جَهْدْ مائتين وخمسين دَارْ ذِي اليهود، وذي الأغنياء والفقراء؛ دار ولد ابن خلفون وغيره. وكذلك ديار ذا الكوييم [المسلمين] مَا إلْيهم عَدَادْ. ولكن ما مات حَدْ لا مِنْ اليهود وَ لاَ مِنْ المسلمين. ولكن ما نْهِدْمُوا من البيع لا هْنا ولا هْنا. حتى هنا تنتهي الإفادة.

قال الكاتب: رأيت أن أكتب هنا تاريخ سنة 5406 لبدء الخليقة بتوسع وبلغة واضحة مفسرة كما وقفت على ذلك مكتوبا في مخطوط لسيدي وشيخي الحاخام التام الديان الطيب، شمعة إسرائيل الحبر الأجل سعديا بن دنان.

بذنوبنا الكثيرة في تلك السنة، أُقفلت البيع بأمر من ولي الزاوية السي محمد الحاج. أقفلت يوم الأربعاء حادي عشر أيلول "ثم دخل الى المعسكر عند غروب الشمس " [سفر التثنية الاصحاح الثالث والعشرون].

ويوم الإثنين السادس عشر أيلول اجتمع الأعداء في بيت قداسنا ومجدنا، ودنسوا هيكل قدسنا. آهٍ للأعين مما تراه، وآه لما تكتبه الأيدي.

آه لنا على حزننا، وعلى ما وقع في أيامنا. " النهب غضب الرب على تلك الارض" [سفر التثنية الاصحاح الاسع والعشرون، 27]. وبذنوبنا جاء المسلمون الأشرار وحطموا البيعة المسماة باسم " التازي " وفعلوا فيها مفسدة عظيمة. الرب يرى ويحكم.

ويوم الصوم الأعظم، وبذنوبنا الكثيرة، اجتمع الأعداء وهَشَّمُوا بيعة " تلمود توراة". على هذا توجع قلبنا، على ذلك أظلمت عيوننا، على جبل صهيون.. [سفر ميخا الاصحاح الخامس، 17- 18]، اجتمع بها الأعداء. ويوم الخميس الرابع من شهر تشري سنة 5407 لبدء الخليقة (3 شعبان عام 1056هـ موافق 13 شتنبر 1646م) اجتمع الأعداء كذلك وحطموا بيعة الحاخام سيادة أستاذنا الحبر الأجل إسحاق أبرزديل طيب الله ذكراه. على هذا أحزن وعلى هذا أنشئ المراثي.

الرب ينتقم تبارك اسمه انتقامة قريبا. وأصبحنا بذنوبنا الكثيرة، بدون توراة، وبدون صلاة وبدون عمل صالح، الله تبارك اسمه ينظر من حالنا، ويهلك الظالمين. آمين.

ومساء يوم الغفران، حطموا "المدراش" القديم والجديد. ولم يبق من البيع قائما، إلا بيعة الحبر الأجل سعديا بن ربوح طيب الله ذكراه، وبيعة النجيد الحبر الأجل يعقوب روتي رعاه ربه وأبقاه . فبيعة الحاخام الحبر الأجل سعديا بن ربوح المذكورة، أنقذها الحبر الأجل أفرايم بن سعدون الذي كان يهوديا تحت إمرة السي بو بكر الحاج المذكور، وانبرى للدفاع عنها وقال إنها كانت بيعته. وقام النجيد كذلك وأنقذ بيعته.

وبين عيد الغفران والمظال خربت بيعة الحاخام الحبر الأجل حاييم عوزيل. ومات الحاخام المذكور يوم رأس السنة، لتظل روحه مصونة في حرز الحياة. وكل يوم كان الظالم المعتدي ينهب ويسلب. جعل الله حدا لأحزاننا. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي سنة 5408 لبدء الخليقة ، مات الربي شيم طوف بن ريموك. وبعد ذلك حدثت بين الطائفة وبين أحد اليهود المسمى يحيى كوهن نزاعات وخصامات. وكان يريد أن يصبح زعيما. ورفضت الطائفة أن يكون بَعْدُ زعماء. وبَعْد ذلك قرروا أن لا يكونوا مع الظالم المعتدي.

وكَثُر النزاع بين أفراد الطائفة سنة 5401 لبدء الخليقة. ووافقوا على أن لا يكون بعد زعماء. وخسر الشيخ سيادة أستاذنا الحبر الأجل إسحاق السرفاتي من مال الطائفة خمسة آلاف ليحتفظ بـ "الشياخة". وفي شهر تشري قام السي المسناني وقتل أحد إخوة الولي المذكور؛ وخرب البيع؛ وكان مترويا كالملك. وكان اسم قاتله الدقاق.

وفي شهر حشوان من السنة المذكورة قتل أبناء السي محمد الشرقي أخا آخر للولي المذكور؛ كان أكبر منه مكانة؛ وكان يحب إسرائيل؛ واسمه عبد الخالق. ومنذ ذلك الحين؛ ثار الإسماعليون على الولي وقللوا من شأنه. الرب يضعفه ويقلل من قدره الى الأرض، يسقطه ويقطعه ويفقده قيمته. فلتكن المشيئة كذلك.

ومنذ ذلك الوقت ونحن في حزن كبير. ولم يكن سلام، لأن القائد الذي يحكمنا هو السي بوبكر التاملي؛ مُحق اسمه وذكره؛ وبقي تابعا للولي المذكور. وكان أهل فاس البالي في خط واحد مع الإسماعيليين في التمرد على الولي. ولهذا ظلنا في حزن كبير الى اليوم الثاني من شهر أيار.

وفي السنة المذكورة، كتب أهل فاس البالي الى الشريف مولاي محمد من شرفاء تافيلالت، وكان زعيما هناك. أرسلوا له الرسالة بعد الرسالة حتى جاءوا به من مدينته وبايعوه. وبقيت أبواب فاس الجديد مقفلة. وبقينا محاصرين من اليوم الثاني من أيار الى أن انصرم خمسون يوما.

وفي فاتح شهر تموز جاء الملك مولاي محمد المذكور من مدينة تافيلالت. وأرسل أحد قواده الى القائد المتسلط علينا السي بوبكر المذكور، وفتح له أبواب المدينة، ولم يكن قصده أن يفتح له أبواب المدينة؛ ولكن ليخوض معه حربا. ورأى الرب تبارك وتعالى أن ينتقم للبيع التي هدمت. هكذا يتلف الرب كل من صنع لنا شرا. فلتكن المشيئة كذلك.

وقبض على الظالم المعتدي المذكور وذهب الملك وحط رحاله بخولان.

وذهب كبار الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، مع النجيد الزعيم الحبر الأجل إسحاق السرفاتي، رعاه ربه وأبقاه. وذهبت معهم أنا الصغير سعديا، السيفردي الطاهر؛ للسلام عليه. وأخذنا هدية في أيدينا. واستقبلنا الملك ببشاشة. والتمست الطائفة منه أن يبقي الحبر الأجل إسحاق السرفاتي المذكور في مرتبة النجيد لأن الطائفة لا تريد غيره.

وبعد ذلك سافر الملك من المكان المذكور، وخرج كل أبناء المدينة لتحيته، وبايعوه وكرموه تكريما عظيما. وحط رحاله بدار الزاوية. وكانت علامة طيبة لنا، ولكل إسرائيل، آمين. وبعد انصرام ثمانية أيام عاد أخو الحبر الأجل شيم طوف بن ريموك يعلق على النجادة [الزعامة]. واشترى الزعامة من الملك بأربعة آلاف أوقية. ولم يرد الحاخام الحبر الأجل إسحاق المذكور إعطاء أي شيء فغادر الزعامة. وثار نزاع وشجار بين الطائفة والزعماء. وارتفعت الضرائب والرسوم بسبب الجائرين الذين ارتكبوا المحظور.

ويوم الثلاثاء الخامس من شهر آب الرحيم، أخرجوا العدو الجائر السي بو بكر؛ مُحق اسمه وذكره؛ وثقبوا كعبية؛ وجروه من «البستيون» حتى دِيسَ وانْمَاثَ. وغَرَزَ له أحد الأعداء السيفَ في بطنه قبل أن يموت. هكذا يهلك كل أعدائك ربي.

وزاد من أحزاننا الكثيرة بيننا وبين النجيد ريموك أخو شيم طوف بن ريموك المذكور، أن هذا الأخير راح هو وبعض أحبائه الكبار عند أحد زعماء البلد الأقوياء، اسمه السي علي بن إدريس وتعزز به لأنه كان محبوبا عند الملك كثيرا. وكان السي علي بن إدريس السبب في لتولية ريموك زعيما واقناع الملك بذلك]. ونصبه بعد أن تعهد له بتقديم ثمانية آلاف أوقية للملك، وللزعيم المذكور ألف أوقية عدا ما وعد به كل واحد من مرافقيه. وكان كذلك. فعزلوا الحبر الأجل إسحاق السرفاتي من الزعامة ومنحوها ريموك المذكور. ومن حين توليته

زعيما لنا لم نسترح ولم نهدأ ولم نستقر. و كل يوم كان يمر على الطائفة كان أسوأ من سابقه. وفرض ريموك على الطائفة قوانينا لا يمكن أن تُحتمل.

وكان الملك قد طلب مرة من الحاخام المذكور الحبر الأجل إسحاق السرفاتي، الذي كان زعيما ، خمسة آلاف أوقية ليكون زعيما فأبى. ولما رأى الحاخام المذكور أن الملك قد قصده رام الفرار من المدينة. وقبل ذلك أراد أن يُرسل كل متاعه، وكل أدوات بيته. وكان أن عزم على الرحيل مساء يوم من الأيام مع حمارين كانا متوجهين الى مدينة تطوان. فجمع كل ما في بيته من أواني وحلية، وأموال منقولة: أواني من فضة، وأواني من ذهب ونحاس وقصدير وحديد. وجمع كل أواني بيعة " تلمود توراة"، وجمع التفاحات، وجمع كذلك أواني بيت أخيه الحبر إبراهيم. ولم يترك شيئا. ورام الإنتقال إلى مدينة تطوان. ولم يترك في بيته سوى التوراة والأسفار المقدسة.

وبينما الحماران خارجان من باب الجواد، التقيا بأحد جلساء الملك. فسألهما لمن تكون كل تلك الأمتعة، قالا: هي لفلان. قال: « لقد رام الهرب من الملك. كل ما هو موجود هنا من أمتعة يوجه للملك.» وفي نفس الوقت أخذ الأمتعة: البهائم وما عليها، وذهب بها الى بيت الملك في المشور. وحُكم على الحمارين بالجلد بأمر من الملك. وسجن الحاخام المذكور مع اثنين من أبنائه في قصرالملك في الدار الموسومة بدار الهناء. وكان ضمن الأمتعة المحجوزة حلي من ذهب وفضة وتفاحات الأسفار المقدسة. وسمعنا أنه كان فيها كذلك ما يقرب من ثلاثين ألف أوقية. وبقي الحاخام المذكور مسجونا مع ابنيه خمسة عشرة يوما حتى أدى خمسة آلاف أوقية أخرى، عدا الأمتعة وما فيها. الرب تبارك ينتقم انتقامه من كل من كان سببا في هذه الخسارة. آمين.

وفي اليوم الخامس من شهر آب ورد الخبر على الملك بأن القائد سي بوبكر المذكور أراد التمرد على الملك هو وقواده. وكان له حصن بجانب باب

الجواد جمع فيه كل كنوزه، وجمع فيه ما يأكل ويشرب مما يكفي لسنين ثلاثة.

ماذا صنع الملك؟ أرسل الى أخيه المسمى مولاي محرز، وهاجم الحصن المذكور بجيش عظيم، وأخرجوا [بويك] وجروه كما ذكرنا أعلاه، وسلبوا كل ماكان له. الله عاقبهم بما صنعته أيديهم، فلتكن المشيئة كذلك. قاله العبد الدنىء سعديا بن دنان السيفردي الطاهر.

ومما وقفت عليه مكتوبا:

في سنة 5419 لبدء الخليقة اتْعَطلْ الشتاء من يوم بوريم السوسن ما نْزِلْ. وْكَانْ الريح الشرقي. وُنْدَرْ الزرع في حُوَايزْ لِمْدِينَة. وُتَاهِتْ كل المدينة. وُبَرْحُوا في المدينة كلهم يْصُومُوا الكوييم ثلاث أيام، شَاين لا عَمْرْنَا سْمَعْنَا. وُطلُوعْ الزرع كان خمسة وأربعين أوقية للصفحة، رْجَاعْ يسْوَى خمسة وسبعين أوقية وَلاَ يظْهَرْ. وُكانت صَرخة عْظيمة في كل المدينة. كانْ هذا في اليوم الثاني عشر لنيسان. وفي هذاك بعد أَنْ اجتمعُ الحاخامات، أبقاهم ربهم ورعاهم، للمرة الأولى في التاسع من نيسان، وافقوا أنْ يْصُومُوا يوم الثاني. بعد ذلك ما صُمْنَا. إِيْوَا رِينَا كل الناس في الضجيج. نْجِمْعُوا الكَهَالْ [الطائفة] الكُل في بَيْتْ هَكنستْ [البيعة] دْيَالْنَا ذي التوشابيم [الأصليين]، رعاهم ربهم وأبقاهم، بعد أن هي خربة، نْجْمَعْنَا فيها وصلينا فيها صلاة العصر وتضرعنا كثيرا.

وبعد ذلك ذهبنا الى مقبرة التوشابيم [الأصليين] حيث قبر الحاخام سيادة أستاذنا الحبر الأجل يعقوب قانيزال طيب الله ذكراه. وهناك درستُ الموضوع: "وقال لهم يعقوب إخواني من أين أنتم، قالوا من ... [سفر التكوين الاصحاح التاسع والعشرون، 4]. وبرهنت للطائفة كما هو مكتوب أمامي في الكراسة. وبكينا هناك بكاء شديدا. وبعد ذلك [زرنا] قبر والدي [السموأل بن دنان] طيب الله ذكراه. وبعده قبر الحبر الأجل ويدال والحاخامات المدفونين معه. وبعد ذلك

ذهبنا الى قبور الحاخامات المدفونين في المكان المسمى "حبرون". ومن هناك ذهبنا الى باب الملاح للوقوف على قبور القتلى الذي قتلوا أيام المجزرة. وبعد ذلك ذهبنا الى قبور الصديقين الذين يوجدون خارج باب المدينة وأمام حوانيت القَرْشَالِين. وفي الغد في اليوم الثالث صُمنا. صام كبار الطائفة وصغارها. وكانت استغاثة كبيرة في كل المدينة. وصلت كل الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، في بيعتها، وصنعوا إحسانا جميلا. وفي الصباح صليت أنا الصغير، وجلسنا هناك الى أن انتهى اليوم. وبعد ذلك ذهبنا الى المقبرة كما صنعنا في اليوم الثاني.وليلة اليوم الثاني تلبدت السماء بالغيوم بندى البركة. ولم يتوقف و"نِسْتِلْقَ" ريح الصبا.

وبعد ذلك اجتمع الحاخامات، رعاهم ربهم وأبقاهم، مساء يوم الخميس، اجتمعوا بالطائفة. كانوا يقولون إنهم سيصومون يوم الخميس الثالث عشر من نيسان ولما كان المساء مساء موسم، خبرونا خبر صدق مفاده؛ أنْ لا حاجة الى الصوم. لم نؤمر بالصوم، فقط طلبنا الغفران كما في مذهبنا. واستجاب الرب لنا بأمطار البركة. وهطلت الأمطار في منتصف النهار وكل الليلة ليلة الرابع عشر من شهر نيسان. وخرجنا يوم الغد بأسفار التوراة وقرأنا تسبيحة الأمطار.

قاله الكاتب الصغير بين عباد الله، العبد الرحيم والرؤوف سعديا بن دنان السيفردي الطاهر.

قال الكاتب: حققت ودرست التاريخ من سنة 5413 لبدء الخليقة، حيث كتب الحاخام الحبر الأجل شاؤول سيريرو وسيادة أستاذنا الحبر الأجل سعديا بن دنان طيب الله ذكراه، ولم أقف على من كتب حول ماحدث في ذلك الزمان وما بعده، لكن أحد الشيوخ المسلمين، إسمه عبد الواحد بوزبعة، أخبرني بما يلي:

من المعلوم أن الزمن الذي هَد فيه الظالم محمد الحاج عزو الله البيع المذكورة على يد العدو الجائر بوبكر التامري، هو زمن حُكمه بالزاوية، وْ قاموا القُيَّام في أيامه في كل البلدان، مثل القايم الخضر غيلان بالقصر الكبير، وْقام في فاس سي محمد الدريدي المدنس، الذي اعتدى على إسرائيل كثيرا، وكان واليا على فاس الجديد، وأقفل أبواب المدينة فلا خارج منها ولا داخل إليها. وقام بفاس البالي "شي قُيّام: اسم أحدهم بنصالح واسم الأخر الصغير، وأقفلا بدورهما أبواب فاس البالي. وكانت حرب بين أهل فاس البالي وبين أهل فاس الجديد وكان بعضهم يسلب بعضا. والقوافل التي كانت تأتي لفاس البالي كان يأخذها أهل فاس الجديد. وكان القتال بينهم في كل يوم. وفي يوم من الأيام، أوقفوا القتال وصنعوا السلام بينهم، ودامت (الهدنة) أربعة أيام استمروا بعدها في القتال. ومات أغلب اليهود الذين كانوا في الملاح. وفرضت عليهم ضرائب كثيرة ألزمهم بها العدو الجائر سي محمد الدريدي المذكور. وكان الجباة يأخذون القمح من الجرة وهم يُجبون الضرائب، وكانوا يأخذون " الجلطيطة "من على المرأة والمئزر من الجسد. وكان اليهود يفرون، والذي كان يخرج خارج المدينة يُخرج من الحياة، والذي مكث بالمدينة مات جوعا.

وكان اليهود يلقون بأنفسهم من أسوار المدينة، ويتوجهون إلى فاس البالي. ولم يستقر بملاح فاس من اليهود إلا ستين بعل بيت فقط. ولما سمع محمد الدريدي، العدو الجائربذلك، ورأى ذلك بعينيه، قبض على جميع اليهود وأقسم بإخراجهم من مدينته، وأقسم أن لا يبقى في الملاح أحد وكان يقصد قتلهم. واستعطفه السادة والكبراء بالرشوى والهدايا، والإستعطاف حتى تركهم في مكانهم. وأقفلت أبواب المدينة، فلا خارج منها ولا داخل إليها. وكان ثمن الحنطة خمس أواق للمد، ولم تكن الحنطة متوفرة كفاية.

واستمر هذا إلى سنة 5425 لبدء الخليقة، حيث جاء الملك مولاي رشيد سمت جلالته، وفتح له القائد رزوق بابا من أبواب المقبرة تسمى باب البوجات،

ودخل الملاح ليلا ، ونزل بدار الربي يهودا ما نصانو الذي كان "رشبتور" الطائفة. وفي صباح الغد ذهب إلى باب السمارين بفاس الجديد وفتحت له الأبواب وفر المتمردون وكل الثوار. وقبض على العدو الجائر العابث المسيء سي محمد الدرايدي، وعلقه على شجرة بخازوق. وأَذِن الملك لكل من أراد رؤية بشاعة العقاب من يهود وكوييم (مسلمين)، أن يذهب ويرى. وجاء الملك ورأى سُمُوَّه على المسيء الدريدي المذكور. وكان الدريدي يقول لكل الناظرين إليه وهو معلق على شجرة والخازوق مولج في بطنه: " وَمَا يُصرِخُك، كُنْتُ زْمَانْ فُوقْ مِنكُمْ وَاليُوم فُوقْ منكم ".

ومكث الملك هنا بفاس ثلاثة أعوام، وبعد ذلك ألقى له السُّلَم أهل فاس البالي، وأهل كل المدن القريبة. وكان في أيامه اكتفاء كبير وخير كثير. وعمت البركة عمل أيدي الناس. وعاد كل من كان منفيا ومنبوذا إلى مكانه في أيام الملك المذكور. وجدد اللّه عودة شعبه إسرائيل.

وبعد ذلك ذهب الملك مولاي رشيد ، سمت جلالته، إلى مدينة الزاوية ، حيث مسكن الفقيه سي محمد الحاج وحاربه وأسره وأخضعه وأذله ولم يقتله، وأتى به حيا إلى فاس. وأقسم الملك مولاي رشيد ، سمت جلالته، أن لا يغادر أبواب الزاوية حتى يخربها ويحطم البيوت والأسوار ، فتبقى خربة مهجورة. وهكذا صنع. وأجلى البربر الذين كانوا يشايعون الفقيه المذكور ، وقتل منهم، وأمر اليهود بالخروج من المدينة ، وأمهلهم ثلاثة أيام، ثم يخرجون هم وأبناؤهم، ونساؤهم وأولادهم، وكل ما لهم. وكان كذلك.

وفي اليوم الثالث " صَرَّ الشعب في ثيابهم معاجنهم وعجينهم قبل أن يختمر وحملوها على أكتافهم" [سفر الخروج الاصحاح الثاني عشر ، 34]، حملوا ما يأكلون فقط على أكتافهم، وكان أكثرهم من الأغنياء تزخر بيوتهم بكل الطيبات من أوعية فضة ، وأوعية ذهب ونحاس وحديد وقصدير ورصاص وكثير من الغلال؛ والحنطة والشعير والفول والعدس مما لا عد له، وأوعية

مملوءة بالخمر والزيت والعسل والزبدة. تركوا كل تلك الأشياء هناك، إلا ما استطاع كل فرد حمله من ذهب وفضة. وأتت كل الطائفة إلى هنا، إلى فاس، وكان ذلك في أول شهر آب الرحيم من سنة 5428 لبدء الخليقة (الإثنين 29 محرم عام1079 للهجرة موافق 9 يوليوز 1668م). ووافقت ولادتي أنا الصغير عبد الله تعالى السموأل بن دنان السيفاردي، وصول الطائفة المذكورة إلى فاس. هذا ما وجدته مكتوبا في كناشة السيد الوالد، الحاخام التام الديان سيادة أستاذنا شاؤول بن دنان بخطه.

وكانت الطائفة التي وردت على فاس من الزاوية مكونة من قرابة ثلاثمائة بعل بيت. ولم يغادر السلطان، سمت جلالته، المدينة المذكورة إلا وقد حُطمت جميع الدور، وهدمت الأسوار وأضرمت فيها النيران، وتصاعد دخانها كدخان الأتون، وضاع فيها المال الذي لا يقدر ولا يحصى، وبقيت المدينة مقفرة وخربة وغير مأهولة.

وبعد ذلك ذهب مولاي رشيد، سمت جلالته، المذكور إلى مراكش لملاحقة أخيه مولاي محمد المذكور آنفا، والذي نصبه أهل فاس البالي ملكا عليهم لما أرادوا التمرد على سي محمد الحاج المذكور. ولما اشتد بينهم ظُلْمٌ مَعْلُومٌ، ثاروا عليه أيضا، وتَطَلَّعُوا إلى السي محمد الحاج، وذهب إلى مدينة مراكش. وذهب أخوه المذكور مولاي رشيد الآن مطاردا له.

ولما سمع مولاي محمد بمجيء أخيه قاصدا محاصرته، فر هاربا إلى مدينة تارودانت. وبينما كان الملك بمراكش، ركب حصانا صغيرا "[اعريف ما ارتكبت] أيتها الناقة الجامحة الهائمة في طرقها."[سفر إرمياء الأصحاح الثاني، 23]، وقف الحصان على رجلين، وقفز، والملك راكب عليه بين أشجار الغابة، فانغرز للملك عود في رأسه ومات على الفور.

وبعد ثلاثة أيام أتوا به ودفنوه بفاس، ووقع هذا مساء فصح سنة 5432 لبدء الخليقة. وامتد زمن ملكه ستة أعوام ونصف. وكان في أيام ملكه رخاء

كبير وغزارة في كل مكان. ويوم دفنه بفاس انخفض ثمن الحنطة خمس أواق للمد، وفي اليوم ذاته انخفض سعرها إلى أربع أوقيات للمد. وبعد ذلك صار ثمن الصحفة ست أوقيات. وكان ثمن لتر ونصف من الزيت في أيامه، موزونة واحدة؛ وكانت الزيدة بعشرين أوقية.

وكان مولاي إسماعيل، سمت جلالته، خليفة بمكناس وفاس أيام مولاي رشيد. ولما مات هذا الأخير وجيء به إلى فاس [قَصْدَ دَفْنِهِ] قدم مولاي إسماعيل، وعلى الفور بايعه أهل فاس الجديد وأهل فاس البالي. وبعد ذلك ذهب الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، مع جيشه إلى مراكش لملاقاة مولاي محمد بن مولاي زيدان [ابن محرز]، وصحبه إلى هناك رماة أهل فاس البالي، وحارب وعاد بسلام.

وبعد ذلك أراد الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، أن يوجه جيشه للمحاربة في مكان آخر. وأراد أن ترافقه مائة من رماة أهل فاس. وأرسل إليهم القائد زيدان، وطلب منه أن يجند الرماة المذكورين. وماذا صنع أهل فاس البالي؟، قتلوا القائد زيدان بمجرد وروده عليهم، وجزوا رأسه، وأرسلوه إلى الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، وثاروا على الملك سنة ونصف. وكان الملك يقاتلهم كل يوم في ظهر الرماكة [الدمكة] وظهر الزاوية، وكان أهل فاس البالي يقتربون من حصن باب الجواد، ويسقطون الرصاص الذي يحاربون به على بيوت الملاح. وكان أهل فاس البالي يسبون ويشتمون مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، وهو إلى اليوم لازال يذكرهم بالسب والشتم، وأنزل بهم ضريبة كبيرة، وفي كل سنة وسنة يذكرهم بذنبهم، وبعد ذلك جنحوا إلى مسالمته، فصنعوا السلام بينهم، وبايعوه مرة أخيرة. وبعد ذلك ذهب الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، إلى مدينة تارودانت لمحاربة مولاي زيدان المذكور أعلاه، وكان حاربه سابقا مرة واحدة بمراكش، وفر مولاي محمد إلى تارودانت، وذهب [مولاي إسماعيل] لملاقاته بجيش عظيم فيه كثير من اليهود من كل المدن وربحوا مالا

كثيرا من الحملة المذكورة، وكان هذا سنة خمسة آلاف وأربعمائة وثلاثين وثمانية لبدء الخليقة. وانتشر في السنة المذكورة، وباء عظيم جدا، حتى بلغ عدد الموتى بفاس البالي ألف شخص، ومات بالملاح أربع وعشرون شخصا كل يوم حتى سنة 5438 لبدء الخليقة .

وكان في السنة المذكورة [أي 5438] غلاء في الأسعار، وانحباس في المطر. وبعد إحيائنا صيام أيام ثلاثة، ثلاث مرات، أقمنا إجتماعا كبيرا [لطلب الغيث]، وهكذا كان صنيعنا كما أذكر: أُعْلِنَ في الدروب والأزقة والساحات والبيوت، يوم الأربعاء قبل صلاة العصر، إنه يجب على الكبار والصغار الصوم يوم الغد. وفي اليوم الموالي ذهب أعضاء الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، حفاة إلى المقبرة. وجلسنا عند الباب المسمى بالحابص، ويوجد وراء الحائط قبور الصلحاء والحكماء الكبار؛ وأشهرها قبرالحاخام الكامل الصالح الحبر الأجل يعقوب بن قانيزال، طيب الله ذكراه.

وضعنا التابوت [تابوت العهد] عند الباب المذكور، وجلسنا هناك من الصباح إلى المساء، وصلينا هناك صلاة "الشخيرة" [الصباح]،و"منحاه" [صلاة العصر] و"نِعيلاه " [صلاة الإختتام قبل الغروب] و"عربيت" صلاة المغرب. وتقدم الحاخام الكامل الديان السيد الشيخ، شمعة إسرائيل، الحبر الأجل، سعديا بن دنان طيب الله ذكراه لصلاة الصبح، وأطال في صلاة "الشخيرة "إلى الظهر بإضافة مجموعة من الأشعار التكفيرية والرجاء على نهج البراكوت [التسابيح] كما هي مكتوبة عندنا. ولما كان [الحبر المذكور] ضعيفا بسبب شيخوخته، لم يكن يستطيع تَصَدُّرَ الصلاة طوال اليوم، فصلى الحبر الكامل الشيخ يعقوب بن سمحون العصر، وصلى الحاخام الكامل الديان الحبر الأجل يهودا عوزيل، طيب الله ذكراه، "نعيلاه" و"عربيت ". ولم يُستجب لنا طول اليوم إلى أن كانت صلاة المساء، فنزلت أمطار كثيرة عنيفة، توقفت قبيل منتصف الليل. وكان ذلك مساء رأس شهر نيسان من سنة 5440 لبدء الخليقة (29 ربيع الأول

عام 1091 هـ موافق 29 أبريل 1680م) . وكان ثمن الحنطة مثقالين للمد الواحد، وللصحفة مائة وعشرين مثقالا.

ولا أذكر هل كانت السنة الموالية جيدة أم لا؟. والحقيقة التي يسجلها المرء : إنه لم تكن في ذلك الزمان آفة ولا شعور بصوت الجوع؛ لأنه كان بملاح فاس أغنياء كثيرون، أغنياء كبار، بيوتهم مملوءة بكل الطيبات، والغلال الكثيرة، وخزائنهم مملوءة. وكانت مطامير اليهود مملوءة. ولم تنته إليهم مجاعة ذلك الزمان، ولكن طالهم الوباء المنتشر في تلك السنة. وفر أناس كثيرون إلى الجبال والأماكن التي لم يعمها الوباء. ورأيت بأمي، دامت روحها مصونة في حرز الحياة، ثمانية عشرة قرحة. وكان الطبيب ينكأ من كل واحدة أوقية من اللحم الميت كل يوم، وشفيت، بينما مات آخرون بنصف قرحة.

وأحيينا في نفس السنة. عند خروجنا من الجفاف، زواج الحاخام الكامل، الملم بكل الحكم؛ حكمة التأمل، وحكمة الفلسفة، وحكمة النحو، والشعر الموزون الذي لم يكن له ند في كل إسرائيل، وكان ربيا لكل المغرب، كما هو منشور ومعروف عند التلاميذ الحاخاميم في فاس وتطوان وصفرو ومكناس، الحبر يونا بن عمي وسيدي الحاخام الصالح الأجل يهودا بن دنان. ولد الحبر يونا بتطوان درَس ودرَّس بها، وبعد أن تزوج عمي طيب الله ذكراه من امرأة غنية بتطوان، وبعد أن وُلد له أبناء وبنات، ذهب السيد الوالد [إلى هناك] وأتى به وبكل أهل بيته إلى فاس. وكان الحبر الأجل يونا، طيب الله ذكراه، متفرغا للدراسة. وكان كل التلاميذ الحاخامات من البلد يجتمعون عنده لينهلوا من علمه العميق، وكل من انغلق عليه معنى من "التوسفوت" أو من كتابات إلياس مزراحي، أو " الجمارا"، كان يأتي إلى بيت يونا، ولا يغادره حتى يشرح له [يونا] ما غمض عليه. وحين أراد الحبر يونا الزواج، تزوج أختي المسكينة؛ مكث معها شهرين فقط ومات من جراء الوباء. أصابه [الوباء] في حنجرته حتى استعصى عليه الكلام، واسعفته حكمته، فكان يرمز [إلى ما

يريد]. ولما توفي تزوجت أختي زواج "اليبوم" أخاه الحبر سعديا. ومات هذا الأخير بعد ذلك كذلك ولم يخلف أبناء . كان زواج الحبر يونا في شهر نيسان من سنة 5440 لبدء الخليقة ، وتوفي في شهر سيوان من نفس السنة: مات قبل أبيه وجده وجدي الحبر الأجل سعديا بن دنان. وقد رأيت هذا الأخير يبكي حفيده بكاء شديدا وأثنى عليه كثيرا ، وفعل أبي وأعضاء الطائفة نفس الأمر.

وفي سنة واحد وأربعين وسنة إثنين وأربعين استمر الوباء، ولكن بدرجة أخف، وكان يعالج عكس وباء سنة أربعين. وفي نهاية شهر آب من السنة المذكورة 5440 (30 رجب عام 1091 هجرية موافق 25 غشت 1680م)أراد الله إلى جواره سيدي الجد الحاخام الكامل الديان، شمعة إسرائيل سيادة أستاذنا الحبر سعديا بن دنان طيب الله ذكراه، جعل الله موته كفارة لذنوب أبناء عصره، فلتكن المشيئة كذلك.

ألهج بفضائل الرب وتسابيحه وإحسانه، وما أغدقه على بيت إسرائيل بفضل خيره ورحمته يوم الجمعة، مساء فاتح شهر شباط، قبل السبت المقدس من سنة 5452 لبدء الخليقة (29 ذو القعدة 1090 هجرية موافق 2 يناير 1680م): أرسل الملك، سمت جلالته، هذا الكلام مع أحد كتابه: "إن الأمة الإسرائيلية تتباهى بالتمام والكمال، وليسوا حاشا الله إلا للقتل والهلاك". وحين سمعنا هذا، سقطنا على وجوهنا، وجأرت كل الطائفة باكية بكاء شديدا، وبقينا كل الليلة، ليلة السبت المقدس، نبكي وننوح، وظلِلْنا على نواحنا في الغد، يوم السبت المقدس. وأخذنا الرعب وارتعدت ركبنا، "وبغضب وسخط أنتقم من الأمم التي لم تطعني [سفر ميخا الإصحاح الخامس، 15]، وقرأنا "ويعبور" في كل البيع، وصلينا بسرعة وبكاء مر حتى حل وقت صلاة العصر.

ووردت علينا بشارة من بيت نسوة الملك، سمت جلالته، أن النساء أشرن إلى بسالة سيدنا الملك فعدل عن المجزرة. ورغم ذلك لم يطمئن قلبنا من هيجانه كل اليوم وكل ليلة خروج السبت. وفي الصباح، ذهب زعماء الطائفة إلى قصر الملك،

سمت جلالته، وفي أيديهم هدية، ولم يلتفت إليهم الملك بكل قلبه، فجأرت الطائفة بالبكاء هنا بالمدينة، وكان أعضاء الطائفة يقرأون كلهم الإبتهالات في البيعات ، وقد بكوا بكاء شديدا. في اليوم الذي كان [ينتظر أن تحل فيه] الكارثة ولم تنهض أحداث أكثر وأكثر مما سبق، وتلقينا الجواب عند العصر، ونظر الملك إلى رؤوس الطائفة وصفح عنهم، وكان ذلك بالنسبة للطائفة الإسرائيلية معجزة عظيمة معادلة لمعجزة مردخاي وإستير، ونجانا الله تبارك. إنه يصنع معنا المعجزات والآيات دائما، وهو يرحمنا برحماته الكثيرة. هذه كلمات صغير عباد الله حبيب طوليدانو.

ومما وقفت عليه مكتوبا في كتابات إسرائيل. في يوم الجمعة من شباط سنة 5442 لبدء الخليقة ، وردت علينا بشرى طيبة من مدينة مكناس بحدوث معجزة كبيرة للملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، الذي أنقذه الله تبارك وتعالى من لبوءة، وكانت القصة كما يلي، وهكذا حكيت لنا:

باينْ أربعة نصارى حَافُوا عْلَى بيت المال ذا المليك مولاي إسماعيل باش يسرقوها، وْقَامُوا عْلِيهُم وُقَبْضُوهُم ، وُاللَّغَدَّة حب الملك يتفرج عليهم، يعطيهم لسبوعة ياكلوهم. وطلاع معاهم الملك فوق السور ذي دَارْ السْبُوعَة بَاشْ يتفرج، وهبطوا النصارى بأربعة لْعَنْد السبوعة وَلاَ كْلاوهُومْشِي. قال للقايد والشرفاء و العبيد ذي كانوا مْعَاهْ فوق السور يرجموهم. وقام واحد النصراني هْدَرْ مع واحد اللبية بالعجمية، قَالها تْنَقزْ لْفوق السور وتْطِيَّح الملك وُتَاكْلُو، لاَينْ كانوا مربيين مْعَاهُمْ يعْطِيوْهم كل النهار ما ياكلوا وما يشربوا، ونقزت اللبية على الملك وقبضاتوا من لكتف ديالوا في اليد اليسري، واليد اليمنى كان محكوم في السور لاين كان السور عالي. وُمْتَاينْ رْمَاتْ يدها في الملك قبضاتوا مِنْ لِحْمَالَة ذي كانت عْلِيهْ وَلاَ قبضت اللحم، جا واحد من العبيد ذ الملك وضربها برصاصة بين عينيها. طاحت اللبية لدار السبوعة والملك طاح عْلَى برا. وُفكوا الله تبارك وتعالى. وُعَمْلُوا ذاك نهار كبير المسلمين واليهود وفي كل البلاد كانوا يْعَمْلُوا

النزاهة و"مِشْتِه" [وليمة يقدم فيها الشراب] واليوم الطيب. وبرحوا الحاخاميم ورؤوس الطائفة بَاينْ مَا يْحُل حد الحانوت دْيَالو، وذي عندو حاجة مْليحة يلبسها ويزين بيها، وزينوا السطاح ذي الملاح وطيقان بالخُوامي والحجوب والنطاير دالحرير. وعملوا اليهود أربعة دِالْعْلُوم. وجاوا المسلمين، وبقاوا يلعبوا ويشربوا الشراب وماحيا. ومشاوا اليهود لدار الملك ولديارالشرفا والقياد ولجوامع والمدرسات بسبابطهم، ولا من هدر معاهم من الكوييم. وحوسوا اليهود حوانت الكوييم في فاس البالي ولامن كلمهم، وعلى قد هدشي هو معجزة كبيرة، عليها كتبوا هنا. ردد هذا عبد رحيم أمين ومأمون رحمات خلقه، ليعيد له الاطمئنان والسكينة وفي ظل القادر يمكث، السموأل بن دنان، رعاه الله وأبقاه.

وسمعت إنه في سنة 5461 لبدء الخليقة، في شهر آذار الثاني، شرع الثري الوجيه الحبر رئوبين بن قيقي في حفل الزفاف من الفاضلة الوجيهة، الأم بإسرائيل، إسْطْرِيَا، إبنة الشيخ الفاضل الحبر الأجل اللآوي بن شوشان جعل الله روحه في جنة عدن.

قال الكاتب: على الرغم من المحن التي مرت بنا أيام الملك مولاي إسماعيل سمت جلالته، [بدأت محن أخرى] مع سنة 5461 لبدء الخليقة، ففي شهر نيسان المعظم ورد الخبر بأن الملك المذكور قد حارب الترك بالمكان المعروف بالكويعة. وفي الثالث عشر من شهر نيسان من السنة المذكورة ، فرض الملك المذكور ضريبة قدرها مائة ككار فضة على يهود مملكته، وأربكنا هذا الأمر. تراخت كل الأيدي، وكلّت العيون، وانكسرت الخواصر، وانقلب فرح ليلة الفصح نَكَدًا؛ وكثيرون هم أرباب الأسر الذين لم يشتروا لحما للعيد، وكثيرة هي البيوت التي لم تقرأ "الهكدا"، ومن قرأها، قرأها كما لو كانت سفر المراثي.

وأرسلت كل الطوائف منحا وهدايا للملك، سمت جلالته، عسى أن يخفض الضريبة إلى النصف أو الثلث أو الربع، ولم يُجْدِ ذلك. وقالوا إن الملك حلف باليمين وحرمة أبنائه إذا لم يؤد اليهود كل المبلغ. وفرض على جماعة فاس، رعاها ربها وأبقاها، رُبع مائة ككار، أي خمسة وعشرين ككارا، وتولى جمع المبلغ كله القائد الكبير على بن عبد الله الريفي، ولم يشرع في الجباية إلا آخر شهر سيوان. وكان صياح كبير، وبكاء محرق، هذا يبكي وهذا ينتحب.

ولكثرة أحزاننا لم نُصَلِّ في البيعة يوم عيد "الشبوعوت" [عيد العنصرة]، وهناك من أدى عشرة آلاف أوقية ضريبة، هناك من دفع ستة آلاف، وهناك من دفع ثمانية آلاف، وأقلهم دفع ألف أوقية، وفرضوا على الطلبة الحاخامات ألفي أوقية، وكسروا بعض التفاحات الفضية للفيفة التوراة.

وفي بيعتنا نحن الأصليين [التوشاييم] كسرنا شمعدانين كبيرين، كان سيدي وأبي، طيب الله ذكراه، جلبهما من مدينة تطوان. ولم يكونا ملكا للطائفة، بل كانا لأبي طيب الله ذكراه، اشتراهما من حُرٍّ ماله، قسمناهما إلى أربعة أقسام، وأخذ كل منا قسما، وأضاف إليه ما يؤدي به نصيبه من الضريبة، فأعطى سيدي وأخي الحبر الأجل إبراهيم ما توجب عليه من الضريبة المذكورة ألف أوقية . وأنا عبد الرب تبارك وتعالى أديت في الضريبة المذكورة خمسمائة أوقية فرضت علي. وكل طالب حاخام كانت له تفاحات [فضية] كسرها، لا أعاد الله هذه المصيبة كذلك.

وفي السنة المذكورة أي 5461 لبدء الخليقة، يوم السبت المقدس الثامن عشر من شهر حشوان(18 جمادى الأولى عام 1112 للهجرة موافق 31 أكتوبر 1700م)، ماتت زوجتي الأولى إبنة الفاضل الوجيه، سيادة أستاذنا الربان شاؤول بن ريموك، طيب الله ذكراه، وهي إبنة عمتي ظلت روحها مصونة في حرز الحياة، وكانت إمرأة غنية، وكل ما أملكه في هذا العالم كان لها، ورثته

حين وفاة أبيها، وكانت حينئذ مازالت شابة، وإن كانوا لم يُنيلوها العشر مما ورثته عن أبيها. وجعلت لها كفنا بقيمة خمسمائة أوقية من الفضة الجيدة. ولم تترك [زوجتي] أبناء، لأنها دفنت في حياتها كل الذين ولدتهم، وكان وارث صداقها هو شاؤول بن أخيها سعديا جعل الله روحه في جنة عدن، وعندما لم يحزن عليها لأنه لم يكن ملزما بالحداد، لم يأخذ من ميراثها نصف ما كان موجودا في بيتي، لكنه أخذ أقل من الثلث وفقا لما هو مقرر في قوانين أسلافنا طيب الله ذكراهم، وأخذ ما أعطيته من الإرث: نصف الدار المرسومة بدار ريموك الأقرع، وكانت مجاورة لفران التوشابيم (الأصليين)، وأعطيته كذلك قرابة ستمائة أوقية من الفضة الجيدة الإسماعيلية، و"فشتولا" قيمته ثمانين أوقية، ونحته هذه الأربعة عن الإرث المذكور، تنحية تامة كما هو مكتوب ومختوم عندي حسب الأصول.

وفي نفس السنة أي 5461 لبدء الخليقة، في الثاني من شهر آذار تهيأت للزواج من الشابة بيضا إبنة أستاذنا الحبر الأجل يوسف عوزبيل، رعاه ربه وأبقاه. وفي شهر نيسان من نفس السنة ورد خبر المائة كِكَارْ وعَرُيت كل الفرحة. لا أعاد الله هذه المصيبة فلتكن المشيئة كذلك، ومع كل هذا وقعت مصائب [أخرى] وجدتها مكتوبة عندي وعند آخرين.

وإذا فكرت في تسجيل المحن والمرارات والمصائب التي مرت بنا نحن طائفة فاس، حفظها ربها رعاها سنة 5464 لبدء الخليقة، ينتهي الزمان وهي لا تنتهي.

ففي ليلة الأربعاء، الرابع عشر من شهر كسلاف (12 رجب 1115 هجرية موافق 22 نوفمير 1703م)، توفي الديان الفاضل سيادة أستاذنا الحبر الأجل فيدال السرفاتي، طيب الله ذكراه، ودفن في نفس الليلة قبل الفجر، وزاد من قلقنا وجود مولاي حفيظ إبن الملك مولاي إسماعيل هنا [أي بفاس]، وكانت عادة أبناء الملك المذكور حين يمرون بنا إجتزازنا وتنحيتنا دائما.

وكان يوم الخميس الثامن عشر من شهر كسلاف من السنة المذكورة [أي 5464] (16رجب عام 1115 هجرية موافق 26 نوفمبر1703م)أنْ ورد علينا الخبر بأن الملك سمت جلالته عين ابنه مولاي عبد الحفيظ المذكور حاكما بفاس الجديد، ويوم الإثنين السابع والعشرين من شهر كسلاف المذكور، حل مولاي حفيظ بفاس مع أسرته وماله، وخرجت الطائفة، رعاها ربها وأبقاها ووجهاؤها للقائه بهدية جيدة.

واستقبل [مولاي الحفيظ] الطائفة ببشاشة. وانصرفوا فرحين مطمئنين، وأوصى بهم أحد خصاته المسمى عبد الله ابن قاسم، وقال له:" متى أراد أحد وجهاء [الطائفة اليهودية] الإتصال بي، إيذن له " وكان يتكلم بحيلة، وفي الغد، وحتى تتزايد أحزاننا، حل عبيده ورجاله بالملاح ؛ هذا يؤنب، وهذا يعاقب، وهذا يصنع الإساءة عمدا. وكل واحد كان يصنع ما يريد، وكانوا ينكرون بإسم سيدهم، ولا شيء كان يردعهم، فواحد يسأل خمرا، وواحد يريد ماء متقدا، وواحد يريد تبغا، وواحد يريد إبزارا، وواحد يريد كسوة، وآخر يريد خنجرا، وآخر يريد غشاء تميمة. وجعلوا حياتنا مرة بالضرائب والرسوم منذ أن اجتمعوا بالملاح، حتى انقلبوا إلى حيهم. ولا أحد خرج من بيته إلى السوق على الإطلاق. ولم يستطيعوا حتى البقاء في بيوتهم، وكل واحد ، من اليهود ، أخذ أمتعته وأبناءه وهرب من سطح إلى سطح، ومن ركن إلى ركن، وكانوا يختبئون في العِلِّيَّات و"السوطانوس" [*Sotanos*] الدهاليز الموجودة تحت البيوت.

وكان المسخرون [العبيد] يقتحمون بيوت اليهود، ويكسرون الأبواب والصناديق، ويأخذون كل ما وجد هناك، ويعطون ذلك لأسيادهم ولجباة الضرائب، وليث كل ما يأخذون ضريبة في اليوم والليلة يسد حاجتهم إلى الطيور والبيض واليمام وفراخ الحمام.

وكان في هذا اليوم أن أرسل إلينا [مولاي الحفيظ] أحد قواده المدعى "سي رحال فانجا" قصد جباية أربعة آلآف أوقية. وأدت الطائفة المبلغ في ليلة واحدة من شدة الفزع، وبعد ذلك، وفي نفس الأسبوع، قامت فرية على يهودي لم يمض شهرا كاملا مع زوجته، وهو القوي السيد ميمون صالح، أخذوه إلى مولاي الحفيظ المذكور، فأمر بإحراقه. الرب ينتقم إنتقامه، فلتكن المشيئة كذلك.

وفي الغد أرسل إلينا [مولاي الحفيظ] أحد عبيده باكرا لأخذ كفارة اليهودي الذي أحرق، وقدرها [ككار] فضة، وإسم العبد الذي ورد علينا "سي رمضان" جَمَعَ المبلغَ في ليلة واحدة.

وفي الغد كذلك أرسل أحد الخدم إلى الطائفة، وإسمه الشرايبي، وبيده أربعة "مكاحيل" [بنادق] ليصنعوا خواتم ذهبية. فصنعوا الخواتم من ذهب بستين مثقالا من الفضة، وأعطوا سُخْرة للكويي المذكور مثقالين. وبعد قليل جاء آخر يعلن أن ابن السيد الملك يريد أربع خيام من حرير؛ وفي الحال أرسل اليهود إلى فاس البالي[الشرائها]، واشتروها بألفين وستمائة أوقية وأعطوا "سُخْرة" مائة أوقية.

وفي اليوم نفسه، أتى سي رمضان وأمرنا بإعطائه مائة وخمسين أوقية، وعلى الفور أعطوه مائة وخمسين أوقية. وفي نفس اليوم أرسل إلينا [مولاي الحفيظ] شابا يريد كسوة، وكان رجلا أعمى بيده عصا، وكان راكبا على كتف "غوي". وعلى الفور ابتاع له اليهود كسوة، فلبس بزته وهو يَشْتُمُ. وفي الأسبوع ذاته أرسل [مولاي الحفيظ] في طلب أربع خيام أخرى. وعلى الفور اشتروها له بألفين وخمسمائة أوقية.

وفي اليوم ذاته أرسل في طلب قفطان" سْكَرْنَاط " بَاشْ يْقِيمُوهْ يْقَامَة المَخزن، وُجَاتْهُم لِيقَامَة بِمائةٍ وَخمسينَ أوقية.

وبعد قليل أتى أحد الخدم، واسمه سي جديف، ساخطا، وطلب كسوة لأحد أبناء مولاي الحفيظ، واشتروا الكسوة المذكورة أعلاه بمائة وعشرين أوقية، وأعطوا "سخرة" على الكسوة المذكورة، ثلاثمائة وخمسة وسبعين أوقية.

ولما رأى أعضاء الطائفة أن ضيقهم عظم، تشاوروا مع زعمائهم للهرب إلى مكناس، عسى أن يكون لهم مسلك ورَفَأٌ لمحنتهم؛ وعسى أن يكد أحدهم في إبلاغ [شكواهم] إلى الملك مولاي إسماعيل، سمت جلالته، وكانوا يبعثون فرقا فرقا، وكان ذلك يوم الخميس السابع والعشرين من شهر طيبث. وتجمعت الفرق المذكورة كلها يوم الإثنين تسعة أيام بقين لشهر شباط موافق شهر رمضان.

"فإنني أفتقد معصيتهم بالعصا وإثمهم بالبلايا"[المزمور89، 33].

وحدث أن صعدوا إلى قصبة الملك ارتفع مجده، وأطلقوا صيحات كبيرة مُقلقة، وسمع الملك، سمت جلالته، تلك الصيحات، فاندهش وأمر بإحضارهم. وهنا ركضوا مُرتبكين مسرعين، ودُفِعوا حتى وصلوا أمام الملك، سمت جلالته، وبمجرد مثولوهم أمام الملك قالوا :"لقد سلبنا الوجهاءُ والجباة، وخربوا بيوتنا، وجنان الملك سمت جلالته"، وعلى الفور أمر الملك بإحضار الوجهاء وجباة الضرائب لمحاسبتهم على كل ما جبوه من الملاح. وأرسل رسالة مع النجيد السامي الحبر الأجل إبراهيم مايمران يأمر فيها الوجهاء وجباة الضرائب بالإجتماع في مكناس بحضرة الملك. وعند سماعهم [الأمر الملكي] ارتبكوا كثيرا وأسرعوا، وسَتُلَتْ وُجُوهُهُم. آهٍ لنا من يوم الحكم والحساب أمام الحاكم بالحقيقة تبارك اسمه.

ذهب الوجهاء وأحد الجباة إلى مكناس، ويوم الخميس انكروا أمام الملك. كانوا يتحدثون ويطلبون العفو من الملك، ورَمَزَ [الملك] إلى خدمه الذين كانوا أمامه بقتل اليهود بالرصاص. وكذلك صنعوا، و مات على الفور يهوديان، يسمى أحدهما موسى بن ممان، والثاني ابن فنقيس، وأريق دم يهودي

ثالث ولم يمت؛ أصابته الرصاصة فاخترقت حنجرته. وبقي مريضا، وشفي بعد ذلك، واسمه موسى بن حنينا. والرب تعالى ينتقم ويثأرللدم المراق، فلتكن المشيئة كذلك.

ولما رأى دم القتلى، استشاط غضبا. ومما زاد من سخطه الصرخة التي أطلقوا أمامه في اليوم الأول، وأمر بإحراق اليهود الذين بقوا على قيد الحياة بنار تنور الجير، وأخذوهم من أجل إحراقهم ولكنه أمر بعد ذلك بإرجاعهم، ولما رجعوا سألهم: أين الوجهاء بينكم" قالوا " هذا وهذا " وأمر بإحراقهم، فأخذهم إلى الفرن، ولا أحد أشفق عليهم أو رق لحالهم إلا رحمة السماء، وتوجه الملك إلى القائد واسمه القائد الغازي بو حفرة، وقال له:"أنقذ هؤلاء اليهود من الفرن، لقد جعلتهم وطائفة فاس بين يديك، حتى تأخذ منهم عشرين ككارا ، مرات ثلاث، لأنني موقر بينهم" وهكذا صنع.

وأتى بهم [القائد] إلى فاس يوم السبت المقدس عند إنهائنا لصلاة الصبح، "إذا لم ترق لمولانا..."[سفر الخروج الإصحاح 21 ،8] وقلّت ذنوبنا، والرب تبارك يزيل غضبه على شعبه إسرائيل، فلتكن المشيئة كذلك. واجتمعت الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، بالساحة الكبيرة المسماة باسم الحبر الأجل شاؤول بن رحمون جعل الله روْحه في جنة عدن، وهناك عسكر القائد المذكور الذي أتى لجمع الضريبة، واجتمع كل الطلبة الحاخامات بالساحة المذكورة مع طائفة فاس، وفي نفس اليوم أمر القائد المذكور الطائفة بتقييد ما يتوجب على كل فرد أداءه دون زيادة أو نقصان. [وأمرهم] أن لا يقدروا إلا النصف الذي هو عشرة ككارات، لأن هناك أمل في أن يرجع الملك سمت جلالته، ويهدأ غضبه، وكان النجيد السامي إبراهيم ما يمران يطلب العفو من الملك سمت جلالته يستعطفه ويبكي حتى رضي بنصف الضريبة المذكورة، على أن يؤدوا له النصف الآخر بعد الحصاد.

وكان القائد المذكور يضرب ويذل اليهود والطلبة الحاخامات ورجال التوراة. وغضب القائد المذكور غضبا شديدا. ورأى صنيع شعبنا. وكان يضرب ويذل الحاخامات واحدا واحدا. وكان يصنع نفس الصنيع لكل فرد من أفراد الطائفة، وذل أحد الأغنياء، واسمه سليمان بوطبول الذي لم يستطع تحمل المضايقة والضرب والخنق، فغير دينه، وأسفاه على ما ترى العيون، وأسفاه لما تسمع الآذان.

منذ ذلك اليوم، فرض القائد المذكور على الحاخامات، رعاهم الله وأبقاهم ككارات فضة وحدهم، وفرض على الخياطين ككار فضة وحدهم، وأعطى الحاخامات ككار فضة كاملة دون السخرة والعمالة، وأنا المذنب أعطيت في هذه الضريبة ثلاثمائة أوقية؛ وأعطيت مع المبلغ المذكور قرطين من ذهب وخلاخيل من فضة. الرب تبارك يجعل حدا لمصائبنا، ويملأ خصاصنا، فلتكن المشيئة كذلك، قاله وكتبه عبد الرب تبارك إسمه السموأل ابن دنان السيفاردي الطاهر.

ومنذ ذلك اليوم جبى القائد المذكور الضريبة شيئا فشيئا حتى جمع عشر ككار، وأعطى (اليهود) للقائد خمسة آلآف أوقية سخرة دون الهدايا والمنح التي كانوا يقدمون له كل يوم، والألبسة والأواني ما قدره ثلاثة آلآف أوقية.

وأرسل مولاي حفيظ إلى القائد الغازي يريد أن يعطيه من المال الذي جبي، وأن يعطيه من الهدايا التي أهداه اليهود إياها. وكانت كل النفقات التي يحتاج إليها بيت مولاي حفيظ وقِوَامُها خمسة آلآف أوقية تُستخلص من الجباية المذكورة، كما يستخلص منها نفقات القائد المذكور بما قدره إثنا عشر ككار فضة وكتب القائد [الغازي] على الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، عشرة ككار تؤدى لخزينة الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، بعد الحصاد.

وذهب القائد الغازي بوحفرة إلى مكناس، فوزن المال وصرفه ذهبا، كما قال له الملك سمت جلالته. واكتشف القائد أن المبلغ المقدم من طرف طائفة فاس تنقصه ألف أوقية. وسددها يهود مكناس. وبعد ذلك قال القائد الغازي لأعضاء الطائفة "استدعوا عشرة شيوخ أُولي معرفة، وأعدوا هدية جميلة، وأرافقكم إلى حضرة الملك فأتحدث بكلمات طيبة في حقكم، فألغي لكم شطرالضريبة التي كتبت عليكم أداءها لخزينة الملك بعد الحصاد. وهكذا صنعنا.أعددنا هدية جميلة؛ وكانت عبارة عن عشرة أزواج من قماش *Cambrai* الرقيق. وأخذهم القائد الغازي [إلى حضرة الملك] وهديتهم بين أيدهم، وتحدث عنهم أمام الملك بحديث حسن، واستقبلهم الملك، سمت جلالته، ببشاشة، وكان ذلك يوم الإثنين رابع آذار الأول من سنة 5464 لبدء الخليقة(3شوال عام 1115 هجرية موافق 9 فبراير 1704م).

وحدث في نفس الليلة، ليلة الثلاثاء أن الملك قال لبعض خدامه وعبيده، وخصيان البلاط، وهو جالس على سريره: "إأتوني بالهدية التي جاءني بها اليهود لأراها" فجاؤوه بها وحدث أن فردة من ثوب *Cambrai* كانت ناقصة من الهدية، فأمر الملك، سمت جلالته، بإحضار هؤلاء اليهود وكانت الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، نائمة، فوقف عليهم خدام الملك وأخرجوهم بفزع كبير، وبقلب منكسر؛ وعيون دامعة وأوقفوهم أمام الملك.

قال لهم الملك:" كم عدد أزواج *Cambrai* التي أتيتم بها إلي". قالوا :"عشرة أزواج"، قال لهم:" كذلك هو، فقط عرفت أن أحد عبيدي سرق فردة واحدة"، هذا ما وقع في الليلة المذكورة.

وفي الغد أرسل الملك (مولاي إسماعيل) خدما آخرين إلى طائفة فاس، كي يختاروا من بينهم أربعة أشخاص أو خمسة، ليمثلوا أمامه مع النجيد السامي الحبر إبراهيم مايمران، وقال لهم الملك: لقد أحصيت المال الذي قدمتم فوجدت، إنه من بين العشرة ككارات التي عليكم، تنقص سبعة. وكان هذا

في الخامس من شهر آذار الأول. و[قال الملك]: " والآن ، إذا لم تريدوا إعطائي العشرة ككارات، أعطوني ثلاثمائة خيمة من قماش الكتان الجيد، فألغي لكم الشطر الذي بقي في ذمتكم، أو أعطيكم عشرة ككارات أخرى، فتخرجون من الملاح الذي لكم بفاس"، فأجابت طائفة فاس، أبقاها ربها ورعاها، بصوت واحد:" سمَعْاً وطاعة لكل ما يقول سيدنا ، قَبِلْنا الخروج من الملاح المذكور" وبينما الأمور كذلك، وردت رسالة من ولده مولاي محمد تعلن تمرد هذا الأخير وتَمَلُّكه بتارودانت. حنق الملك، واستل سيفه، و طفق يؤنب القواد الذين كانوا حاضرين، وهم القائد أحمد أوحدو؛ والقائد أحمد العرايشي، والقائد محمد أحرضان، والقائد عبد الله الروسي.

وفرض عليهم غرامة قدرهاعشرة ككارات، يؤدونها له في الحال. وأرسل مع أعضاء طائفة فاس، رعاها ربها وأبقاها، ثلاثة من مستشاريه، وقال لهم: اذهبوا مع اليهود، واختاروا لهم مكانا يحسن في أعينهم، ليبنوا منازلهم ودورهم في المكان المسمى" وجه عروس". وبعد ذلك رجع الملك ارتفع مجده وقال لهم:"إذهبوا واستيشرو طائفتكم، فإذا حسن في أعينكم الخروج من الملاح أعطيكم عشرة ككارات. وخرجوا من عند الملك بقلب منكسر محطم، وبنفس مغمومة بعد أن اختاروا الموت عن الحياة، والخروج من الملاح كما أمرهم الملك ارتفع مجده، ولم يندموا لأنهم كانوا تحت نفوذ مولاي حفيظ، ولما رجع الملك في كلامه وقال:" إذهبوا وتشاوروا مع طائفتكم." علموا أن تلك الكلمات لم تكن بمحض إرادة الملك سمت جلالته، وحزن الرجال أكثر [مما كانوا] ومكثوا بمكناس.

وحدث بعد مرور ثلاثة أيام بعد أن هدأ الملك، أَن ذهب النجيد السامي شمعة إسرائيل سيادة أستاذنا الحبر الأجل إبراهيم مايمران إلى حضرة الملك، إلتمس العفو لشعبه إسرائيل، والصفح عن طائفة فاس، أبقاها ربها ورعاها، وقال له الملك: صفحت عنهم، لكن عليهم ان يصنعوا مائتي خيمة من

الكتان ويمكثوا بمكانهم.." وهكذا كان الكلام. وعلى الفور استلفوا ثلاثة ككارات بفائدة من زوجة الملك، وصنعوا تلك الخيام. والرب تبارك يصرف غضبه عن شعبه إسرائيل. ويجعل حدا لأحزاننا. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شهر آذار الأول المذكور، كان أعضاء الطائفة ما يزالون بمكناس، ولم يكونوا يريدون المجيء إلى فاس خوفا من مولاي حفيظ، وظلوا حاقدين على الدوام، لسفر عاموس الإصحاح الأول، [1]، يتجنبون أن يقول لهم مولاي حفيظ:" لماذا ذهبتم إلى مكناس؟ لِتَكِدُّوا في إبلاغ أبي؟ ولتوشوا بي؟ لقد عاقبكم الله تبارك وتعالى، وكافأكم، ففرض أبي عليكم غرامة كبيرة.

وأرسل مولاي حفيظ أحد عبيده وخدامه إلى طائفة فاس، وبيده رسالة من أربع ورقات. وتوجه إليهم بهذا الكلام: " أنا رْضِيْت عْليكم،أجيوا ،أمان الله تبارك إسمه عليكم، عمري لا ضَرِّيتكم، وما يجوز عليكم، غير ما يجوز علىراسي كْثْر" أرْسَلّهُم التسبيح دْيَالُ و وقال لهم: أجَيوْا لِدْيَارْكُمْ، وُمَا يكُونْ غِيرْ إرَادْكُم".

وهو يرسل تلك الرسالة إلى الطائفة، أذن لأربعين خادما من عبيده بالإجتماع بملاح فاس من أجل جباية ككار ونصف من الذهب من عند اليهود. وأمرهم أن يقتلوا أربعين رجلا، وأن يجزوا رؤوسهم، ويأتونه بهم مع الذهب المذكور. وقبل أن يجتمع الخدم في الملاح، تساءلوا:" ما الذي نقصد تنفيذه، ومازال أكثر أعضاء الطائفة بمكناس، وقد أرسل لهم [مولاي حفيظ] الأمان التسابيح؟ لماذا أمرنا بالقيام بهذا الصنيع، ربما كان على خطإ أونسي ما أرسل لهم، فلنعد ونُذَكِّرَه بما أرسله إلى طائفة فاس".

وعادوا إليه، وقالوا له:" سيدنا، نريد أن نقول في حضرة سيدنا أمرا ولكننا خائفون. قال لهم:" تكلموا، لاتخافوا"، قالوا: "لقد دعوت طائفة فاس للرجوع إلى هنا. فلننتظر إلى أن يعودوا إلى هنا، ويكونوا كلهم هنا ونفاجئهم

على غرة، فنأخذ منهم الذهب المذكور، ونقطع رؤوس أربعين منهم، ونأتيك بهم. والآن ليس هناك في الملاح إلا أناسا معوزين، لم يوشوا بسيدنا، وضعفاء لهم ما يكفيهم من الأحزان.فلننتظر حتى يقدم الأغنياء والكبار الذين هم الآن بمكناس". قال لهم:" نِعْمَ الكلام كلامكم.ومادام رأيكم كذلك، فلننتظر مجيء كبار الذين هم بمكناس، وعند عودتهم افعلوا بهم ما أمرتكم به". وكان الرسول الذي ذهب إلى مكناس بالرسالة، [رسالة الأمان] والتسابيح مازال بمكناس يسترضي الطائفةعلى مهل حتى رضوا بالمجيء إلى فاس.و كان في يوم الجمعة، ثلاثين من شهر آذار الأول، أن عاد الخادم المذكور من مكناس، وأسرع بنقل البشارة إلى مولاي حفيظ، وقال له :
" سيدي، هاهم اليهود قادمون جميعا من مكناس "، ولم يكونوا قد وصلوا إلى فاس بَعْدُ، باستثناء إثنين منهم. وقال قولا حسنا. وكان كذلك. ولم تصل الطائفة إلا يوم الفاتح من شهر آذار الثاني من السنة المذكورة.

وفي ليلة الجمعة، فاتح شهر آذار الثاني من السنة المذكورة، غلب الأرق على مولاي حفيظ من كثرة الفرح. وكان يفكر فيما سيصنعه بالأشخاص الذين وشوا به إلى أبيه، ورَامُوا تنحيته، وقتله، وتشريده. وفكر في الذي يمكن أن يصنعه بأناس مَسُّوه بِشَرّ. قال في نفسه كما لو كان قاضيا : سأصنع بهم ما راموا مَسَّني به، سأرسل إليهم في الغد ليَمثُلوا أمامي. مَن سَيُخَلِّصُهم من قبضتي؟... سآخذ منهم أربعين ككارا من الفضة، وأقطع منهم أربعين رأسا، وليفعلوا بعد ذلك ما يريدون". لكن القدوس تبارك وتعالى، أبطل خطته، وأفسد ترتيبه لأنه [كما قيل] :" لا ترتيبي من ترتيبكم، ولا طريقي طريقكم"، الرب وحده يصنع المعجزات الكبيرة، وذلك من فضله إلى الأبد.

وفي بكرة يوم الجمعة المذكورة، فاتح شهر آذار الثاني، وصل وجهاء الطائفة وحميرهم إلى فاس. وجاء الخدم وأخبروا مولاي الحفيظ بمجيء اليهود، فأمر كل خدامه قائلا: إستعدوا وعبئوا آلات حربكم، كُلْ وَاحْد يْعَمَّرْ

المْكُوْحَلة دْيَاُلوا بالبَارُوْد وُالرْصَاصْ أو يطْفِيهَا ڤ يهودي". وأرسل ڤ طلب اليهود. وجاء قواد مولاي حفيظ، فوجدوهم قد وصلوا، وكانوا يعدون الهدية التي سيقدمونها لمولاي الحفيظ ولما رأى القواد اليهود منهمكين ڤ إعداد الهدية، عادوا بسرعة عند سيدهم، و أخبروه بذلك و قال له أحدهم و اسمه سي محمد المصباحي : "سيدي، هاهم اليهود يهيئون هدية كبيرة وجميلة، ويتهيأون للمجيء عند سيدي، وسيأتون من تلقاء أنفسهم بدون قواد. فإذا أرسلت إليهم انزعجوا فيختبئون أو يفرون"، فقال مولاي حفيظ: "كلمات حق هذه"، قال له :" أطال الله ڤ عمرك سيدي، إذا كانت هذه الكلمات حقيقية وحسنة، فإنهم سوف يعدون الهدية ويأتون عندك، فتصنع بهم ما تشاء" قال له: هكذا أصنع. لكنني الآن سأذهب للصيد، فلْيَأْتوا بعد الصلاة.

وخرج مولاي حفيظ من المدينة ولم يبتعد عن المكان المسمى ظهر الزاوية، وإذا برسول يأتيه برسالة من عند أبيه. فأخذ الرسالة، وقرأها، فاغتاظ، ورجع إلى بيته ساخطا، يُرْغي ويزيد. وأخذ "مْكوحلة مْعَمّرة بالرصاص وعلقها لتكون مُعَدَّة بجانبه، وحينما كان يعلقها، رِجْعِتْ النَّقْشَة، وُضْرَبْ الزْنَادْ وخرجت العمارة واستقرت ڤ بطن مولاي حفيظ، ومات. هكذا يهلك أعداؤك ربي، ومن لم يُؤَدِّ من الأوائل يؤدي من الآخرين [سفر استير 4،7].

أذكر فضائل الرب، و اسبح له على كل ما أعطانافعظم بيت إسرائيل بما صنعه لهم من رحمته وفضله [سفر إشعياء الإصحاح 7،63]. و كتبت هذا اليوم ليكون لكم ذكرى، لأنه فِعْلٌ ومُعجزة كبرى تدل على فضله الدائم.

وما أن انتشر خبر موت مولاي حفيظ، حتى انشغل سكان المدينة [من مسلمي فاس الجديد وفاس البالي] وأخذهم الفزع. وأخذ مسلمو فاس البالي الذين كانوا بالملاح يختبئون ڤ ذلك الوقت ڤ دور اليهود، ويفرون من سطح دار إلى آخر. وإختبأ عندي "الخواجة" الثري سي محمد عديل"ڤ زورية"، ڤ إحدى الدور القريبة من المقبرة. وكنت حينما جاء الخبر، ڤ المجزرة أشتري اللحم

للسبت. وعند سماع الخبر، هرب كل الناس، يهودا ومسلمين وهناك من ترك دكانه مفتوحا وفر. وأُقفلت كل الحوانيت، وأقفل كل واحد بيته عليه. والذي كان بعيدا من منزله لم يتمكن من الذهاب إلى داره حتى إنصرمت ثلاث ساعات وكان الناس يعودون إلى بيوتهم من فوق السطوح [أي يتنقلون من سطح إلى سطح].

وبعد ذلك إنتقل الخبر إلى مكناس، وسمع الملك، ارتفع مجده، أن ابنه مات، وعلمت أم (الأميرمولاي حفيظ) بذلك. وكانت زلزلة عظيمة في فاس ومكناس. وكان حداد طيلة سبعة أيام. وكل يوم كانوا يرسلون إلى النساء لينحن عنه. ويوم السبت المقدس، الثاني من شهر آذار البهي، أرسل الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، في طلب جثمان ابنه ليكون بجانب أمه (أم مولاي حفيظ) وجاء أخوه المتوكل ليأخذ جثمان أخيه الميت، وصنع له القايد عبد الله الروسي تابوتا، وحملوه إلى مكناس، ودفنوه في المكان المعروف بسي مكريز. وانتاب خوف كبير قلوب الناس لأنهم لم يكونوا يعلمون نهاية هذا الأمر. وصلينا صلاة صبح السبت ليلا قبل الفجر. وتلوت التفسير من سفر التوراة على ضوء قنديل معلق. وبقيت الهدية التي كان أعضاء يعتزمون تقديمها لمولاي حفيظ بين أيديهم. وساعة الصلاة المذكورة، قرر أعضاء الطائفة التصدق بها على الفقراء، ونذروا بإعطاء صدقة أخرى حين يخرجون من الظلمة إلى النور بعون الله تعالى.

مَنْ يستطيع عَدَّ المحن والمصائب التي طالتنا في حياة مولاي حفيظ وبعد موته. ففي ذلك الزمان، هرب كل وجهاء المدينة و كل الطلبة الخاخامات إلى الجبال والهضاب، والمدن القريبة والبعيدة، ولم يبق في المدينة إلا الفقراء. ولم يكن الحاخامات موجودين هنا وقت حدوث المعجزة، ولم يأتوا إلا بعد وفاته بثلاثة أيام.

وحينما أتى مولاي المتوكل، أخو الميت، مع قواد أخيه الأشرار، فر الناس واختبأوا، ولم يخرج أحد من بين الكبار والصغار والنساء والأطفال إلى السوق..ومن تعدى أبواب بيته ظلم نفسه، و كرز زعماء الطائفة ووجهاؤها بهذا.

وكان القواد المرافقون له، يُعْلِمُونَهُ ويقولون له: " هكذا كان أخوك يصنع باليهود، وهكذا وهكذا كان يريد أن يصنع بهم في اليوم الفلاني". وفي يوم الغد أرسل[مولاي المتوكل] لليهود ليعطونه "دَاْيَرا" "السكرناط" [سلهام]. وحين وصل القواد إلى الملاح ولم يجدوا أي يهودي بالسوق، قبضوا على يهوديين فقيرين وأخذوهما إلى مولاي المتوكل، وقال لهما: " عليكما أن تحضرا لي دايرا"سكرناط، وإذا أمتنعتما أحرقكما" وخرجوا مع" مسخرين" إلى فاس البالي، وبحثوا عن السكرناط فلم يجدوا، لأن المسلمين حين أتى [مولاي المتوكل] أخذ الفزع قلوبهم فخبأوا بضائعهم وكل مالهم وجاء اليهوديان المذكوران، وقالا للأمير : "بحثنا عن سكرناط، ولم نجد" فقال لعبيده:" ألقوا اليهوديين مع رِهَاط في سواقي الماء. فألقوهما.وقام الحبر الأجل إبراهيم طوليدانوا وبحث عنهما، وأخرجهما [الأمير] من الماء، وقطع عليهما إعطاء ألف أوقية. وذهب الحبر إبراهيم المذكور وتدخل عند الأمير فقطع الأمير بأن يقدما له مائتي أوقية فقط و"دايرا" سوداء. وكذلك صنعوا. أعطوه "الدايرا" ثمنها مائة وعشرين أوقية، وأعطوا سُخْرَة لعبيده قدرها مائتي أوقية. وفي الغد أرسل مرة أخرى يطلب دايرا من "برناط" و إشتهروها بمائة وثلاثين أوقية، وأعطوها له. هذا ما كان في سبعة أيام الحداد على مولاي حفيظ. وفي الأسبوع الثاني،أرسل مولاي المتوكل إلى اليهود يطلب تمكينه من أربعمائة أوقية، ولم يجد أحدا من وجهاء طائفة فاس، فقُبض على رجل شيخ إسمه الحبر أفرايم اللاوي، وعلى شاب آخر إسمه الحبر نسيم بن دنان. وكان يضربهما حتى ذهب إليه القائد العربي الجساس وتدخل عنده وخلص ذينك اليهوديين. وأعطته الطائفة سبعمائة أوقية، وأعطوا سخرة أربعمائة وخمسين أوقية. وذهب إلى مكناس ليلة بوريم.

وفي الأسبوع نفسه ورد الخبر بأن مولاي عبد الله أخو مولاي المتوكل المذكور، كان يتجول في دوار " شراقه"، وأسر منهم فتاة عذراء من بناة وجهائهم. وذهب أخوه المتوكل للمجئ به، وحدث في الطريق أنه رأى "سيارة" من اليهود، فسلبهم كل مالهم وتركهم عراة. وجاء قائد شراقة عند الملك مولاي إسماعيل ارتفع مجده، و قال له: "سيدي الملك، لقد فعل ابنك كيت وكيت ". فأرسل الملك، ارتفع ممجده إلى إبنه، و مَثُلَ أمامه، فملأ صندوقين بالحديد والرصاص و علق له صندوقا في رجليه و آخر في عنقه وألقاه بِرِهَاط في ساقية الماء فغرق ومات. هكذا يهلك كل أعدائك ربي.

وفي الأسبوع نفسه، وبينما الملك جالس في بيته، جاء ابنه المعتز يريد المثول أمام حضرته. ولم يرد الحرس السماح له بالدخول لأنه كان سَكْرَانا، فتقاتل معهم، وبلغ الخبر مولاي إسماعيل فقتله. وبعد ذلك وجد الملك أم [المعتز] وسط الدار تبكي ومعهما أخو الميت المذكور، فلما رآها تبكي، أخذ الإبن الآخر وألقاه في ساقية الماء فمات.

وكنا في ضيق حينما، أرسل النجيد السامي الحبر إبراهيم مايمران أحد القواد إلى طائفة فاس يطلب تسليمه ألفي أوقية كانوا استلفوها منه. وكان عليهم كذلك، أداء ألف وخمسمائة أوقية استلفوها من مولاي محمد ابن مِلُوك. وبذنوبنا الكثيرة، لم يكن للناس ما يسددون به، فراحوا عند أحد المسلمين إسمه سي أحمد بن جميل واشتروا منه حنطة بفائدة أربعة وخمسين صفحة" بمبلغ خمسة وثلاثين أوقيه للصفحة يؤدونها له عند نهاية السنة. واستلفوا منه كذاك ستا وثلاثين صحفة يؤدونها له وقت الحصاد. وباعت الطائفة الحنطة المذكورة، بمبلغ عشرين أوقية للصحفة، وأدوا للنجيد الحبر إبراهيم المذكور، ولم يبق لهم ما يسددون به ثمن الحنطة المذكورة، فاشتروا حنطة أخرى بفائدة من عند زوجة الملك، بما قدره ثلاثين أوقية للصفحة، وباعوها بعشرين أوقية. وبعد هذا جاء النجيد السامي الحبر إبراهيم مايمران ليأخذ خمسمائة أوقية،

وعلى الفور أعطوها له.

وفي السادس من شهر نيسان من سنة 5464 المذكورة (الخامس من ذي الحجة 1115 هجرية موافق 10 أبريل 1704م)، قررت الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، أن تجبي الضريبة حسب سجل واحد، يسجلونه من ضريبة ألف أوقية، وجلس "رشبتور" الطائفة للجباية، ولم يجد من يعطي له ولو درهما واحدا. بعد ذلك ذهب أعضاء الطائفة،أبقاهم ربهم ورعاهم، وأخذوا بفائدة ما مَكّنَهُم من تسديد الضريبة.

وفي اليوم نفسه، من فصح السنة المذكورة، جاء سي الحاج مسعود جسوس ومعه سي علال بن مازط لجمع الجزية. فأقفل أبواب الملاح، وقبض على كل الطائفة حتى تقدم الجزية في نفس اليوم. وبعد كثير من الإستعطاف والرشاوي أعطوه مائة أوقية، على أن يعطوه الباقي بعد انتهاء عيد الفصح. وكان كذلك، وبعد إنتهاء العيد شرعنا وجمع الجزية المذكورة. وما أن انتهينا من ذلك، حتى أرسل النجيد السامي الحبرالاجل إبراهيم مايمران أحد القواد برسالة من الملك، ارتفع مجده، إلى طائفة فاس، تأمرهم بإعطائه ثلاثين مرجانة صفراء ليصنع منها "حمالة" للملك، وهم يقرأون تلك الرسالة، أتى خادم من عبيد مولاي المتوكل برسالة لليهود، يأمرهم بإعطائه ستين أوقية، وصرخ كل أعضاء الطائفة بصوت واحد، وقالوا له:" لن نعطيك شيئا" وكان العبد يقول لهم:" أنتم فرحون لموت مولاي حفيظ سيدي". وبعد ذلك اتفقوا معه على ثلاثين أوقية، وأعطوها له.

ويوم الإثنين، ذهبت الطائفة إلى فاس البالي واشترت المرجان المذكور، وأرسلته مع خادم النجيد المذكور. ولن أقدر على ذكر كل الضريبة التي أعطينا نحن طائفة فاس في سنة 5464، ولن أقدر على كتابتها وعدها، وأدعو الله أن يزيح غضبه عن شعبه، ويجعل لمصائبنا حدا. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي أول شهر تموز من سنة 5465 لبدء الخليقة كان عيد الصّغير [عيد الفطر] عند المسلمين، ووافق يوم السبت المقدس، وغضب الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، على الحبر الأجل الربي إبراهيم ما يمران، لأنه لم يعطه الهدية التي كان من عادته إعطاءها له في كل عيد يوافق يوم السبت. وفرض على كل الطوائف التي بالمغرب والتي هي تحت حكمه، ككارا موزونا من الذهب، أي ما قدره عشرة ككارات من فضة مولاي إسماعيل سمت جلالته. وأعطت طائفة فاس ربع الوزن المذكور للقائد محمد مصباح، وأعطوا للقائد المذكور " سُخْرة " ونفقات له ولعبيده وخدامه وأبنائه وبني بيته، ما قدره ثمانية آلاف أوقية، عدا الهدايا والرشاوي التي أعطاه إياها وجهاء الطائفة، كل واحد على انفراد. وبعد ذلك أعطى الحاخامات وحفظة التوراة، كل واحد على حدى، الشيء الذي لا يقدر. وجمعوا الذهب و ذهبوا مع القائد المذكور إلى مكناس رعاها الله. و ذهب الوجية الحبرالأجل إبراهيم بن شيمول مع الطائفة راكبا على بغلة، وزهقت روحه وهو ذاهب مع الطائفة،رعاها ربها وأبقاها، ومات في الطريق.وجاءوا به الى"الجيسة " ودفنوه هناك.

ومنذ سنة 5461 لبدء الخليقة، لم يكن هناك يوم أخف من سابقة. ولم أقدر على كتابة وتسجيل كل المرارات والمصائب التي مرت بنا طيلة خمس سنوات. فلم نسل، ولم نطمئن، ولم نسترح. ففي تلك الأيام، كان مولاي محمد، ابن الملك مولاي إسماعيل،ارتفع مجده، وأخاه مولاي الشريف " قُيَّام"، وتمردوا على أبيهم. ومَلَكَ مولاي محمد لأنه كان الأكبر. وفر مولاي بن نصير كذلك، وذهب عند مولاي محمد المذكور وملك بتارودانت. واستقبله مولاي محمد ببشاشة. وعظمه وأعطاه مركبة و جيشا ليخرج للقتال. وكان أن مولاي ابن نصير كان يحارب، وكان مولاي محمد يتعظم ويستولي على المدن والبوادي المحيطة بتاروادنت إلى مراكش. فخضعوا له وقبلوه ملكا عليهم. وجاء بنفسه، ودخل مراكش، واستقر بها زهاء شهرين إثنين، وبعد ذلك أرسل إليه الملك

مولاي إسماعيل إرتفع مجده، مولاي زيدان أخاه من أبيه، وقاتله قرب مراكش. وانكسر مولاي زيدان، وغنم مولاي محمدغنائم كثيرة، وعاد مولاي زيدان إلى أبيه.

وبعد ذلك أرسله ثانية على رأس جيش عرمرم، فَضَيَّقَ على مولاي محمد بمراكش و حاصره، وكان هذا سنة 5466 لبدء الخليقة.

ويوم الأربعاء، الثامن والعشرين من شهر أيار من السنة المذكورة (29 محرم 1118 هجرية موافق12 ماي 1706م)، كان نور عظيم في الصباح، دام زهاء ساعتين، وبعد ذلك خسفت الشمس. وأخذت تسود تدريجيا وتَصْغُرَ حتى لم يبق منها شيء. وعمت الظلمة العالم. وكانت ظلمة أحلك من ظلمة الليل. وفزع الناس، وخافوا وضجوا وبكوا صغارا وكبارا. ولم تكن الكواكب تظهر في السماء، ولم يكن خسوف مثل هذا من قبل. وبعد ذلك عادت الشمس، وكانت كبني آدم تُصلَح من مرضها. ولم تكن مضيئة كما كانت. وكانت يوم الغد كذلك مريضة، ولم تكن كما كانت . ولتسجيل معجزاته تبارك وتعظم إسمه، وليس هناك من يسأله ماذا يصنع، وماذا يفعل لأن الكل من صنع يديه تبارك وتعالى. كتبت هذا في اليوم المذكور، ونقلته اليوم، يوم الإثنين فاتح شهر طيبث من سنة 5474 لبدء الخليقة (فاتح ذي الحجة عام 1125 هجرية موافق 19 ديسمبر 1713م). السموأل بن دنان السفردي الطاهر.

وانصرم زهاء شهر عن الخسوف، وكان مولاي محمد المذكور داخل مراكش، بينما عسكر أخوه مولاي الزيدان خارجها وقد أحكم حصارها بجيشه، وأراد مولاي محمد الخروج من مراكش والهروب منها. وعند خروجه، قبض عليه أخوه مولاي زيدان، فأمسكه، ثم أرسله إلى أبيه مولاي إسماعيل، إرتفع مجده. وحين سمع مولاي إسماعيل بمجيء إبنه مولاي محمد، خرج للقائه، وضربه بيده، وأمر سي محمد العليج أن يقطع له يده اليمنى ورجله اليسرى، وكذلك صنعوا. وبقي مولاي محمد حيا بعد ذلك سبعة أيام ومات بعدها، وبعد

ذلك ذهب الملك مولاي زيدان إلى تاروادنت، وورث أخاه مولاي محمد، وتزوج نساءه، وأخذ تُحَفَه وكل ما كان له. ومكث هناك بتاروادنت بأمر من الملك مولاي إسماعيل إرتفع مجده.

وفي مساء فصح سنة 5467، الثاني عشر من شهر نيسان المعظم (11 محرم 1119 هجرية موافق 14 أبريل 1707م)، ورد الخبر بأن مولاي زيدان مات، وكانت موته على يد نساء مسلمات. وكان نائما على سريره سكرانا فخنقته إمرأتان ومات. تبارك مفني الأشرار.

وبعد موت مولاي زيدان، جاء الحبر الأجل إبراهيم عند أمه (أم الزيدان) لأنها سمعت أنه كان بجانب إبنها وخادمه، فعظمته وأعطته مالا كثيرا. وكان هَمَّ بالذهاب، لكنه بقي بجانبها، وجاء لها بالهدايا والعطايا. وبعد ذلك ذكرت [أم الزيدان] إسمه عند الملك مولاي إسماعيل إرتفع مجده، ففرح به. وظل إبراهيم يأتيه بالأحجار الكريمة والمرجان والأدوات المختارة، وأدوات الملوك، حتى عظم شأنه عند الملك، والقواد الكبار، وعبيد الملك، والخصيان وكل نساء الملك. وكانت نساء الملك يعرفنه ويصحبنه أكثر وأكثر من الربي إبراهيم مايمران، رعاه ربه وأبقاه.

وفي سنة 5477 لبدء الخليقة وشوا به إلى الملك مولاي إسماعيل، ففرض عليه ضريبة كبيرة قدرها خمسون ككارا من الفضة، فباع كل ما كان له والفاضل الحبر الأجل رئوبين بن قيقي، وأخاه وأصدقاءه وأعطى الضريبة المذكورة.

وبعد ذلك، وشوا به من جديد عند الملك مولاي إسماعيل، ارتفع مجده، سنة 5482 ففرض عليه خمسة وعشرين ككارا. وتصالح مع الملك فارتاح له.

وفي سنة 5483 لبدء الخليقة في فاتح شهر طيبث توفي النجيد السامي الحبر الأجل إبراهيم مايمران، طيب الله ذكراه.

وفي شهر تشرين من سنة 5484، توفي أخو الحبر الأجل إبراهيم مايمران المذكور.

وفي سنة 5484 لبدء الخليقة تعظم الربي موسى بن عطار عند الملك. عظمه على كل اليهود الخاضعين لحكمه، وجعله نجيدا [زعيما] عليهم.

وفي السابع من آذارسنة 5485 ، أمر الملك بإحراق الربي موسى بن عطار، وبعد إخراجه عاريا إلى بيت الحرق خلصه الرب تبارك وتعالى، وفرض عليه عشرين ككارا من الفضة. تبارك الله الذي يعوض خسارة شعبه إسرائيل. فلتكن المشيئة كذلك.

وفي الرابع والعشرين من شهر طيبث من سنة 5484 (الثلاثاء23 ربيع الثاني عام 1136 هجرية موافق 20 يناير 1724م)، [على الجبال أُنشىء المراثي، على فاس اللطيفة، التي كانت مَثَلا على الألسن]، اشتدت المجاعة بسبب ذنوبنا الكثيرة وتراخت أيدي أرباب الأسر. وكل يوم كان يموت عشرة أفراد أو أكثر. وكان هؤلاء الموتى يظلون مطروحين على الأرض يومين أوثلاثة أيام دون دفن. ورأيت بعيني نساء يحملن نعش الميت على أكتافهن. وهذه المدينة التي تسمى خليلة الجمال، وكانت غزالا بالنسبة لكل الأراضي، صارت الآن في أسوإ حال. وكنا نسمع المثل يقول: " الجنازة دْ فاس حْسِنْ من العروسة [الأعراس] دْ البلدان"، آه لما تراه العيون. على هذا تحزن الأرض، لأن صوت الحداد في كل بيت، وكان الصغار يبكون ويولولون ويسألون خبزا ولم يكن هناك من مجيب. وكانت المدينة خربة ومقفرة، والدور خربة دون عمار، والأسواق مجذبة، والحوانيت مقفلة. وكل ليلة كان اللصوص يكسرون أبواب حانوتين أوثلاثة؛.أجل لقد جأرنا، وفنينا كلنا من كثرة المصائب وخسارة المال والجوع، حتى لم يعد الإنسان يعرف عدوه من قريبة، ويرى أنفس أبنائه وإخوانه تزهق بالجوع ولا يلين قلبه. وبذنوبنا الكثيرة وبشرورنا رأينا بأعيننا من يضرب أبناءه ويقول لهم: إذهبوا من بيتي وبدلوا عقيدتكم.

وفي هذا اليوم، كان الكارز يكرز بهذا الكلام في الملاح والأسواق والدروب من الصباح إلى الظهر: آمن يحْب يسْكُن بَاطَل، في الدْيار، وفي الحوانيت يْجي وَلا يْلِزمُوا حَتَّى فِلْسْ، غير باش يحْضيوَهْ " ولم يكن هناك صوت ولا مجيب ولا مُصْغ. وكل اليوم كان يمر من هنا ستة أو ثمانية أشخاص بأبنائهم ونسائهم وصغارهم راجلين، مُنتفخين كزق، متوجهين إلى مدينة مكناس وإلى أمكنة أخرى، الله تبارك وتعالى يرفع غضبه عن شعبه ويخلصنا، ويجعل لمصائبنا حدا، ويستجيب لنا بأمطار المشيئة.

قال الكاتب السمؤال السيفردي الطيب، ابن سيدي، أبي، الحاخام التام الديان سيادة أستاذنا شاؤول بن دنان، طيب الله ذكراه: يتأثر قلبي بكلمات الحاخام، طيب الله ذكراه، الذي كتب ما حدث لهم في تلك الأيام من المصائب والأحزان.] وقد رأيت أن أسجل[هذه الأمور بسبب نار الجوع والفوضى التي تحدث لنا في هذا الوقت. اليوم هو يوم الخميس عاشر شهر طيبث من سنة 5484 لبدء الخليقة(9 ربيع الثاني عام 1136 هجرية موافق 6 يناير 1724م)، وقد مضت علينا ثلاث سنوات إنحبس فيها المطر. وهذه هي السنة الرابعة. وسنة بعد سنة، لم تسقط الأمطار إلا قليلا عند نهاية فصل الشتاء من شهر آذار إلى شهر نيسان. ولم تنزل أيام "الليالي".من كل سنة وسنة، أمطار أصلا، حتى يبست أشجار الزيتون والكروم، والتين و أخذوها حطبا، وكان ثمن الحنطة يرتفع سنة بعد سنة، وفي السنة الماضية سنة 5483 لبدء الخليقة، كان ثمن الحنطة من شهر آذار المعظم إلى شهر نيسان مائة وخمسة وثلاثين أوقية للصحفة أي أوقيتين وربع أوقية للمد. وفي كل سنة، كنا نصوم الإثنين والخميس والإثنين ثلاث مرات، دون أن نصل إلى إحياء إستسقاء كبير، لكن استسقوا في السنة الماضية، بمكناس وسلا، وصفرو، وأخرجوا تابوت العهد، ولم يُستجب لهم يوم الصيام نفسه، واستُجيب لهم بعد ذلك، ونزلت أمطار البركة والمشيئة في نهاية شهر آذار الثاني ثلاثة أيام متتالية. ومن فاتح شهر نيسان إلى مساء الفصح، نزلت أمطار متدفقة.

ووصـل ثمـن الحنطـة إلى سـتين أوقيـة للـصفحة، وأخـذ ثمنهـا يرتفـع إلى اليوم، يـوم العاشـر مـن شـهر طيبـث مـن الـسنة المـذكورة.وبـذنوبنا الـكثيرة صـار ثمنهـا مائـة وخمـسة وثلاثـين أوقيـة الـصحفة، الـرب تبـارك وتعـالى يجعـل لمصائبنا حدا، ويخلصنا، فلتكن المشيئة كذلك.

وإذا رمت تسجيل المصائب والمحن التي مرت بنا بفاس، ينتهي الزمـان وهـي لا تنتهي، حتى ولو كانت السماوات قرطاسا، والمياه مدادا والآجام أقلاما.

"من يعط رؤوس المـاء ويجعـل العيـون نبعـا، لأبكـي لـيلا ونهـارا قتلـى بنـات شـعبي" [سـفر أرميـاء الإصـحاح الخـامس، 23]، قتلـى فـاس الواسـعة، المجـدة، واللطيفة. كانت مثلا على الألسن، كانت مدينة مأمونة، مليئة بالقضاة، والبيع، وبمدارس الطلبة الحاخامات يدرسـون ويقـرأون "الجمـارا" و"التوسـفوت"، وهـم الآن مبـددون ومـشتتون في الهـضاب والجبـال والقـرى والمـدن، يـسألون الأكـل [يطلبـون الصدقة]، وصارت البيع خربة دون نصاب. نصلي ليلا في الظلمة وليس هناك قنديل واحـد مـشتعل، لأن الطائفـة لا تقـدر علـى سـداد ثمنـه. الله تبـارك يـضيء ظلمتنـا، فلتكن المشيئة كذلك.

لقد صارت بيوت الأغنياء فارغـة تمامـا، وأقفلـت أبـواب الـدور ونبـت عليهـا العشب، وقد نفـذ اللـصوص إلى داخلـها، بعـد أن كـسروا الأبـواب، فأخـذوا أسـرة الخشب التي كانت بداخلها. وهنـاك بيـوت حُطمـت جـدرانها ونُفِـذَ إليهـا، وأُخِـذَت منهاالأحجار والأخشاب. وكانت أغلب الدروب بالملاح فارغة، وظلت الـدور مقفلـة. كانـت هنـاك أكثـرمن مائـة وخمـسين دارا مبنيـة علـى يـسار بـاب المقـبرة، قـرب المكان المعروف بالكورنة، مات أصحابها بالمجاعة وتحطمت، وهـي الآن مـستوية بالتراب، وأخذ المسلمون أحجارها وأخشابها وبنوا بهـا في فـاس الجديـد. وكـان في المكـان المعروف" بالعرسـة" قرابة ثلاثمائـة دار مـأهولـة بأنـاس ميـسورين، وهـي الآن محطمة، خربة، وأخذ المسلمون أحجارها وخشبها، ليبنوا في فاس الجديد. وتحقق

ما قيل:" لم تمتلىء صور إلا بخراب "أورشليم". الرب يرفع غضبه عنا، فلتكن المشيئة كذلك.

وفي السنة المذكورة مات بالجوع قرابة ألفين كل سنة كما هو مسجل في تقاييد الطائفة، رعاها ربها وأبقاها، وغَيَّر قرابة ألف [يهودي] من النساء والرجال والأطفال، عقيدتهم. آه لنا من أخطائنا... كانت المذابح مقفلة، ولم تكن هناك ذبيحة طول الأسبوع، ولانذبح إلا بهيمة واحدة يوم السبت ولا نتمكن من بيع نصفها، وكنت قبل ذلك أذبح وحدي أكثر من عشرين بهيمة كبيرة في المجزرة، عدا الأكباش والماعز و"الوزايع"، التي كان يذبحها أرباب البيوت في بيوتهم، وعدا الدجاج وفراخ الحمام [التي كنا نذبح منها] أكثر من ألف كل سبت مساء، وزهاء خمس سنوات كنت وحدي مكلفا بذبح الدجاج في مدينة فاس، وكنت آخذ جباية قدرها درهم واحد على كل ديك أذبحه، وكنت أقبض إثنا عشر أوقية في الأسبوع، الله تبارك يرفع غضبه عنا، وينزل علينا مطر البركة. آمين.

ومما وقفت عليه مكتوبا في مخطوط قديم جدا لسيادة أستاذنا الربان مولانا إلياهو مانصانو:

سنة 5497 لبدء الخليقة هي سنة ضيق: وقد رأيت أن أسجل قليلا من المحن المحزنة التي أثقلت كاهلنا. وقد تعاقبت علينا الواحدة تلو الأخرى. هذا يُخضع، وهذا يَتَمرد، وهذا يتعمد فعل الخطيئة، وفي هذه الأيام لم يعد هناك مَلِكٌ، وكل واحد يصنع ما يريد. وهم ينهبون ويسلبون كل الذي يشتهون. وأعظم من ذلك وأشد قسوة منه، أن السماوات أوقفت نزول الندى والمطر، كأن السماء صارت حديدا، والأرض صارت نحاسا. وكانت ذنوبنا السبب في كل ذلك، فقد كثرت وازدادت حتى تجاوزت الرأس. وليس هناك من يقدر على اللوم أو يقبل التأنيب. وإذا قال له القائل: "إطرح شظية الخشب من بين أسنانك"، أجابه :"إطرح القوارة من بين عينيك"، وليس لنا من نتعمد عليه إلا أبانا الذي في السماء.

وشرعنا في الصوم، نحن اليهود، يوم الإثنين الثاني من شهر شباط. ويوم الثلاثاء الثالث عشر من الشهر المذكور، قررت أنا الصغير أن أصوم بعد يوم، ثلاثة أيام ليلا ونهارا. ويوم الأحد الثاني عشر من الشهر المذكور، بدأ أهل فاس البالي يطلبون الغيث. وشرع أهل فاس الجديد في طلب الغيث يوم الإثنين التاسع عشر من الشهر المذكور، وفي اليوم نفسه، كان اليهود صائمون، وعند المساء ذهبنا في عصبة] قليلة مع بعض أفراد المحكمة إلى المقبرة حيث قبر الربي الكبير، سيادة أستاذنا الربي يهودا بن عزيل، طيب الله ذكراه، وقرأنا بعض التوسلات والإبتهالات. وتلا الربي يعقوب ابنصور صلاة "القَديشْ" ، وتلونا صلاة "الأَشْكابَا"على روح الربي المذكور. وعاد كل واحد منا بخيبة أمل.

ويوم الثلاثاء، عشرين من الشهر المذكور، عند المساء، ذهب[أعضاء] المحكمة ومعهم بعض الناس إلى المقبرة، إلى قبر سيادة أستاذنا الحبر الأجل، سعديا بن ربوح، طيب الله ذكراه، وصنعوا أمامه ما صنعوه بالأمس، دون أن يُستجاب لهم. ويوم الأربعاء، قاموا كذلك بما قاموا به يوم الثلاثاء. وفي هذا اليوم [أي يوم الأربعاء] قررت أنا الصغير أن أصوم بعد يوم، يومين وليلة واحدة، عسى أن يرحم الرب شعبه. وقررت الطائفة أن تصوم يوم الإثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور، وأن يصلي كل فرد من أفرادها في بيعته. وبعد إنتهائنا من صلاة الصبح، انتقلنا إلى المقبرة، وتلونا هناك بعض التوسلات والإبتهالات على القبور المعروفة. ومن هناك. ذهبنا إلى باب المدينة، بين الباب الخارجي وسط القبة، وتلونا هناك بعض التوسلات، وذلك لأن هناك أُقْبر المقتولون والمحرقون في مجزرة حدثت في عهد قديم. ومن هناك ذهبنا خارج المدينة إلى أن وصلنا إلى باب فاس الجديد، وتلونا هناك بعض التوسلات كذلك؛ لأنه توجد في فندق لواد ،كما هو معروف، قبور صديقين قدماء وحاخامات. وقد كانت هناك مقبرة في السنين القديمة. وبسبب خطايانا العظيمة صحنا وصرخنا وليس من ناظر إلينا.

ويوم الأربعاء، الثامن والعشرين من شهر شباط، بينما كنا نشرب ماء التوراة [ندرسها] في جماعتنا، مع أستاذنا وحبرنا، سيادة أستاذنا الحبر الأجل، حاييم بن عطار، وقف أمامنا يهودي مرتد، وقال لنا: إن المسلمين القاطنين بفاس الجديد، مجتمعون كبارا وصغارا في اليوم نفسه للنظر في سبب الشر العظيم الذي مس العالم كله. وقد استخلصوا أن السبب يرجع إلى خطايا إسرائيل؛ وذكروا بعض الخطايا المتجدرة فينا [وهي]:

الخطيئة الأولى: هي الماء المتقدة، التي تسمى بالعربية "ماء الحياة"، كان اليهود لا يبيعونها إلا في البيت المسمى "دار الطبرنة" [الحان] *Taberna*. واليوم ليس هناك بيت لا تجد فيه هذا السم القاتل .والغافلون عن هذا من الناس خاطئون. وتصدرعن هذا آثام مزعجة.

الخطيئة الثانية: الحلف بالزور والكذب. ففي القديم، كان كل من أُلزم باليمين في محكمة غير اليهود، يُلزِم نفسه بأن لا يحمل إسم الرب. والآن يحلفون بالزور والكذب.

الخطيئة الثالثة: ترك الصلاة؛ لأن [المسلمين] يعلمون أن اليهود يستيقظون باكرا عند الفجر بنشاط، ويأتون إلى البيعة لطلب العفو من خالقهم، والآن يذهب كل واحد إلى عمله من السحر إلى المساء، ولا يقول:" أين الرب خالقي"[سفر أيوب الإصحاح الخامس والثلاثون، 1]. وقرر [المسلمون] إرسال رسول إلينا لإصلاح هذه الخطايا، عسى أن يرحم الرب.

وقررت الطائفة الصوم يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر شباط أيضا. وصنعوا مثل ما قاموا به يوم الإثنين، دون أن يخرجوا خارج المدينة، ولم يستجب لنا. وليس لنا من نعتمد عليه إلا أبانا الذي في السماء.

وجاء مسافرون من مدينة مكناس، وأخبرونا إنه نزلت هناك أمطار روت الأرض. و سبحنا الإله وهللنا لفضله و معجزته، لأنه أشفق علينا في ليلة السبت المقدس، فاتح شهر آذار الأول، تجمعت طيبات السماء، ونزلت أمطار من

الهزيع الأخير من الليل عند البكرة إلى المساء. كانت تهطل قطرات، وشكرنا الإله.

آه لأحزاني، فقد أحتجنا إلى المطر يوم السبت المقدس السادس من شهر آذار الثاني. وقررت، أنا الصغير، أن أصوم ستة أيام، ليلا ونهارا، عسى أن يرحمنا الرب.

ويوم الخميس، الحادي عشر من شهر آذار الذي يوافق صوم إستير، ذهبنا بعد الصلاة، إلى قبر الحاخام، سيادة أستاذنا الحبر الأجل يعقوب قانيزال طيب الله ذكراه، وقرأنا [الفقرتين الأخيرتين من بكائيات إرمياء] وقرأنا التوسلات والإبتهالات. وذهبنا إلى قبر الحبر الأعظم، وقرأنا هناك بعض التوسلات، وقام سيادة أستاذنا الحبر الأجل شالوم الدرعي، وفسر"[الفقرة الأولى من بكائيات إرمياء] الواردة في مدراش السموأل واستُقيت المياه. كذلك ينبغي أن يقال: وهل استقوا الماء؟، إن كلمات التوراة التي استقوا تشبه الماء.

وفرحنا وسُررنا في سنة 5499 لبدء الخليقة، وزالت المحن التي مرت بنا في السنين الماضية كما هو معروف، وإذا بنا في محنة أشد قساوة من سابقاتها، بعد أن غضب الرب عنا، ومَنَع السماء ولم يكن مطر، فحل جفاف كبير. سبحان الرب الذي لا يُخفي فضله، لقد أمطر الأرض مطرا في السابع عشر من شهر آذار، وأعطى الطيب كذلك. وفي الثامن عشر من الشهر المذكور تلونا صلاة الشكر.

آه، مَن لَنَا إذا أخطأنا. احتجنا إلى المطر في ذلك الوقت من شهر آذارالثاني، وكانت السماء كنحاس. وبذنوبنا الكثيرة، قررنا الصيام في السابع من شهر آذار مع أن العادة أن يتم الصيام بعد يوم وفاة موسى. وعلى أية حال لم يقع أي إثم، لأن أكثرأعضاء الطائفة لم يكونوا صائمين. والحق، إنه صام في هذا الزمان الرجال والنساء والأطفال وأكثرنا من الصلوات والإبتهالات

وآيات [التوراة] في صلاة الصبح. وفي صلاة العصر قرأنا"ويخال" وأكثرنا كذلك من الإبتهالاث كما في الصبح. وبسبب ذنوبنا الكثيرة لم يُسْتَجَب لنا.

ويوم الخميس، التاسع من شهر آذار الثاني، صُمنا كذلك. وفي صلاة الصبح بعد الرجوع من (الوقوف)، قرأنا: "وقال داوود إلى جاد" وبكينا، وقرأنا المزمور كما هي العادة و"القَديشْ".

وإذا قلت: أسجل بعض المحن التي حدثت في أيامنا تنتهي الأيام وهي لا تنتهي، فبعضها غير مكتوب سابقا في نسخة أخرى من الأخبار عندي.هذا ما وجدته مكتوبا بخط الحاخام التام سيادة أستاذنا الحبر الأجل عمانويل مانصانو. قُتل محمد بن عبو بن سيد، من طرف الملك مولاي المستضيء قتلة شنيعة وسافلة. وأخذ له مولاي المستضيء مُلكه، وكانت كل الأرض في أيامه خاضعة مطمئنة. ومَلَكَ في شهر تموز من سنة 5498. وفي السادس من شهر آب قتله الرب (الأربعاء 6 ربيع الثاني عام1151هجريةموافق 23 يوليوز 1738م)، وكان ذلك في السنة المذكورة، جاء إلى هنا، إلى فاس وبايعه كل الشعب بدون استثناء.

وفي اليوم نفسه، بعد أن تلبدت السماوات بالغيوم، وهبت ريح عاتية، رأينا أن نقرأ "هليل كَادول" في وقت العصر. و بسبب ذنوبنا الكثيرة، ذهب النور وَحل الظلام، فصلينا العصر، وقرأنا"ويحال"، وأكثرنا من الإبتهالات والتوسلات وآيات التوراة كما هي العادة، كما هو مكتوب في أحكام الجفاف. وذهبنا نسبح للسيد كل مرة على أرواح الموتى الذين كانوا ذلك اليوم، يوم الإثنين الثاني عشر من شهر آذار المذكور، حتى تسقط الأمطار، وأشرقت شمس وجاءت أخرى، ونزلت أمطار كثيرة إلى حدود المساء، ومعها كان زلزال عظيم. وفي اليوم نفسه كذلك ظهر قوس قزح، وبعد ذلك قتمت السماء بالغيوم، ونزلت أمطار كثيرة عند حلول ليلة الثالث عشر [من شهر آذار من

السنةالمذكورة]. الرب الرحيم، يريق لنا البركة دون حد في كل وقت وزمان، فلتكن المشيئة كذلك.

وفي سنة خمسة آلآف وخمسمائة، السادس عشر من شهر شباط (16 ذو القعدة 1152 هجرية موافق 14 فبراير1740م)، وقف أمامنا رجل ونحن نقرأ "أَرْبَع أُوموت" من "الهلاخا"، فقال لنا :إن الملك مولاي المستضيء المذكور، آت إلى فاس فارا بنفسه. وكان كذلك. وضجت المدينة كلها، لأنهم خافوا على أنفسهم بسبب ذنوبنا الكثيرة في المجاعة الكبيرة من أن يطلق الجباة أيديهم فيصنعون ما يشاؤون. وفي اليوم نفسه قام أهل الشر والنزاع بقطع رأس ويد الربي يعقوب مونصونيغو بالسيف، حتى كان دمه يسيل كدم الثيران، والأكباش. الرب يجعل لمصائبنا حدا.

ولم يكن إلى ذلك الحين مَلكٌ، لأن هذا يأمر بهذا، والأخر يأمر بهكذا. وكانت الحقيقة غائبة. ولما رأى الملك المذكورأن جميع الأبواب أُغلقت في وجهه أخذ الطريق إلى الشرق. ويوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر شباط، بايعوا مولاي عبد الله، سمت جلالته، للمرة الثالثة كما هو معلوم. وذهب العبيد المذكورون[بقيادة] الخادم سي البخاري ليأتي به، إلى المدينة، لأنه كان منفيا منذ عُزلَ من بيت المُلْك.

وفي شهر تشرين من سنة 5501 لبدء الخليقة (رجب 1153 هجرية)، وصل مولاي عبد الله إلى مدينة مكناس. ولما سمعت الوداية بوصوله إلى مكناس، تمردوا عليه، وبقوا ثائرين عليه خلال شهري تشري وحشوان. وفي هذا اليوم، يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر حشوان، أرسل إليهم الملك خنجره ليُظْهرَ لهم أنه لا يريد بهم شرا، وأنه لا يبغضهم. ورغم ذلك لم يَخْضَعُوا له. الرب الذي يحيط بشعبه، ويزيد في حبسهم، يأتي لنا بالمسيح صديقنا. قاله عمانويل مانصانو.

وفي الأيام العشرة الثانية من شهر كسلاف سنة 5501، جاء قواد كثيرون وأشداء من مَشْرَع الرمل لتحذير الوداية المذكورين. وحين سمعوا الإنذار قالوا: هذا الكلام، كلام ملك حاكم. من يسأله عما يصنع. وكان ذلك اليوم، يوم الإثنين الثامن والعشرين من شهر كسلاف المذكور؛ فذهب زهاء إثنين وثلاثين فارسا لإستقبال الملك وإستقبلهم ببشاشة، وأرسلهم فرحين مسرورين.

وفي سنة 5519 لبدء الخليقة، انحبس المطر من السادس عشر من شهر طيبث (15جمادى الأولى1172 هجرية موافق15 يناير 1759م) إلى فاتح شهر آذار، وكنا في ضيق كبير. ويوم الثلاثاء فاتح شهر آذار، تكدرت السماء بالغيوم، ونزلت أمطار كثيرة، فقرأنا[صلاة] الشكر. وأرسل إلينا المسلمون لنطلب الغيث. وقام أعضاء المحكمة وقرروا صيام يوم الإثنين العشرين من الشهر المذكور. صمنارجالا ونساء وأطفالا، وأكثرنا من الإبتهالات والتوسلات أثناء صلاة الصبح. وتوجهنا إلى المقبرة وأكثرنا من الصلوات والتوسلات قرب قبور الصالحين في المقبرة التي يوجد الحبر الأعظم الربي يهودا بن عطار، طيب الله ذكراه، مدفونا فيها. جلسنا هناك، وبكينا وقرأنا المزامير. وقام الديان الصالح الحبر الأجل، إلياهو السرفاتي، وفسر وأطال وبعد ذلك ذهبنا إلى المكان الموجود بين أبواب المدينة وأكثرنا من التوسلات على قبور القتلى المدفونين هناك وخرجنا خارج المدينة حيث المقبرة المتاخمة "للقرشالين"، وقرأنا المزامير هناك، ورجعنا بنفس منكسرة، واجتمعنا في بيعة التوشاييم [الأصليين] وقرأنا هناك المزامير أيضا. واجتمع كل أعضاء الطائفة هناك. وصلوا العصر، وخطب الديان الصالح الحبر الأجل شاؤول بن دنان. ويوم الأربعاء نزلت أمطارطيلة ثُلُث اليوم.. وأعلنوا يوم الأربعاء صيام يوم الإثنين مرة أخرى. وقمنا بما قمنا به في يوم الصيام الماضي. وخطب في صلاة الصبح الحبر إلياهو المذكور. وفي العصر، خطب الحبر الأجل رفاييل بن دنان في البيعة المذكورة وبسبب ذنوبنا الكثيرة لم يُسْتَجَبْ لنا.

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من الشهر المذكور، قرر أعضاء المحكمة الصيام، وصلى كل واحد منا في بيعته. وقرأنا "ويحال" والإبتهالات. وفي اليوم نفسه تلبدت السماء بالغيوم. ويوم الجمعة ثاني شهر نيسان، تلبدت السماء بالغيوم، ونزلت أمطار ولم تكن كافية.

ويوم السبت المقدس الثالث من شهر نيسان المذكور، كانت ريحٌ ورعد وبرق ومطر، و[سقيت] بعض الحقول بعد منتصف الليل.

ومنذ ذلك اليوم قلت الأمطار، إلى أن كان فجر اليوم الثاني من ليلة اليوم الثالث من الفصح عند منتصف الليل. ونزل مطر كثير إلى الفجر. وستكون هذه السنة، إن شاء الله، سنة خير وبركة.

ولما خضعت مدينة فاس للملك سيدي محمد بن مولاي عبد الله، كما هو مكتوب في مكان آخر، يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر آب سنة 5520 (26 ذو الحجة 1173 هجرية موافق 8 غشت 1760م)، أدخل" المهراز"من باب السبع إلى الملاح وتركه في المقبرة، وأمر العلوج أن يملأوه بالبارود والبُومْب ليُرى كم هو مُخرب خروج البومبة من المهراز. وكذلك صنعوا.

ويوم الأحد الثامن والعشرين من شهر آب المذكور، دخل الملك سمت جلالته، المقبرة المتاخمة لملاح المسلمين، ووصل إلى مكان المهراز المذكور، وعاد إلى بيته، وذهبت النساء إلى هناك، وكن يصحن. وبعد رجوع الملك إلى بيته، دخل اليهود لمقابلته وفي أيديهم هدية، "زوجتاين حْرِيسَة" وعشر دجاجات.

وفي ليلة فاتح شهر أيلول، فجر يوم الثلاثاء، الثلاثين من شهر آب كانت ريح عاتية، وحسبنا الأرض تتزلزل. وبعد ذلك، كان رعد وبرق ومطر: وقيل لنا أن الخيمة التي كان فيها الملك، سمت جلالته، المشرفة على المدينة أُفْرِغَتْ، وسقطت الخيمة التي بها كتاب سيدي البخاري من قوة ذلك الريح. ولا أحتاج إلى أن أتحدث عن خيام المعسكر. وبقي الوداية محتجزين في السجن إلى الآن. والذين فروا بأنفسهم، ومكثوا في "الرْوَايَاتْ" التي بفاس البالي، صفح الملك

سمت جلالته عنهم وهم أكثر من مائتين، وأعطاهم خُمُسَ [ثُمُن] أوقية وصحفة من الزرع لكل واحد، وأرسلهم إلى مكناس ليسكنوا في "الرما". وبقي ولاد خليفة منفيين ومبعدين في مدن البربر. وعظم الملك، سمت جلالته، الجعفرية وأعطاهم المنارات، والغذاء وأدوات الزينة والألبسة والمال، والحنطة والشعير، وبقوا إلى الآن مستقرين في الخيام هُم ونساؤهم وأطفالهم، قريبا من دار الدبيبغ، وهم زهاء ثلاثمائة وخمسين.

اليوم، يوم الإثنين الثالث عشر من شهر أيلول[أَلْزَمَ] الملكُ، سمت جلالته، طائفتنا بإعطائه "الغَبيلو دْطابة" ألفا وثمانمائة مثقال كل سنة. ولم يرض مولاي إدريس بالضريبة المذكورة حتى استقرت في ألفي مثقال. الرب يُخرج قضايانا إلى النور.

وبعد ذلك ذهب الملك، سمت جلالته، مع جيشه إلى الحياينة واجتمعوا أمامه، وبعد ذلك جاء الى هنا وعاد الى مراكش. وترك مولاي إدريس المذكور هنا. وبسبب ذنوبنا الكثيرة، حكم على اليهود دون حد. جعل الرب حدا لمصائبنا.

ويوم الأربعاء، الثاني من شهر حشوان من سنة 5523 لبدء الخليقة(فاتح ربيع الثاني1176 هجرية موافق19أكتوبر 1762م)، وردت رسالة من الملك، سمت جلالته، الى يد المحتسب الفقيه سي الحاج عبد الله، تُلْزم اليهود إعطاء عشرة أواق ضريبةً على ذبح الثور، وخمسة أواق على ذبح الكبش، ورُبُع أوقية على ذبح الديك. ويوم الجمعة، الثامن من شهر تموز من السنة المذكورة، جاء الفقيه المذكور من مكناس وذهب لمقابلة الملك، سمت جلالته، بمجرد مجيئه الى مكناس. وأمره بأن يعطيه اليهود الـ" فسيجة" المذكورة عن الأشهر الستة التي مرت، ألف أوقية عن كل شهر، ومن تم فصاعدا يعطون ألفا وخمس مائة أوقية كل شهر.

وجاء الملك، سمت جلالته، يوم الأحد الخامس عشر من الشهر المذكور إلى فاس. ونزل هو وجيشه بجانب الصفصافة القريبة من دار الدبيبغ. ويوم الثلاثاء السادس عشر من الشهر المذكور قبل السحر، ذهب هو وبعض جيشه مسافة ثلاثة أيام أو أكثر ليصل الى قبيلة آيت يوسي. ولم يُعْطه الرب القوة ليصنع بهم ما يريده قلبه، فَمَحَنُوا جَيْشَه. ويوم السبت المقدس عند المساء، رجع إلى مكانه هو ومن بقي من جنده، وكان غضبانا وساخطا.

ويوم الأحد، الثاني والعشرين من الشهرالمذكور، دخل الى فاس الجديد الى القصر. ويوم الثلاثاء، الثالث والعشرين أمر قواده أن يأتوه بالمهراز من فاس الجديد ويدخلونه الملاح. وكذلك صنعوا. أدخله العلوج إلى المقبرة، وملأوه بالبارود و البومب. وعند مساء السبت المقدس، الواحد والعشرين من الشهر المذكور، عند صلاة المغرب، دخل الملك، سمت جلالته، ملاح المسلمين. وقال: اضرموا النار في المهراز على الفور. وكذلك صنعوا. وسُمع كلامُه من بعد. وعند مساء السبت المقدس، الخامس من شهر آب، صنعوا ذلك تحت عين الملك، سمت جلالته. وبقيت "البومبة" في فم المهراز، ولم يُسمع صوت البارود عظيما في البداية.

و يوم الثلاثاء، السابع عشر من شهر آب، سافر الملك من هنا. يقول البعض إنه أخذ طريق تازة، ويقول البعض إنه توجه نحو لعرمورة [المعمورة؟].وذهب من هناك إلى هناك، حتى خضعت له المدن والقرى. وجاء إلى فاس يوم الاثنين، العاشر من شهر حشوان سنة 5524 لبدء الخليقة. وفي يوم الثلاثاء الثاني من شهر كسلاف من السنة المذكورة سافر من هنا إلى مكناس.

ويوم الخميس السابع من شهر كسلاف من سنة 5519 لبدء الخليقة (7 ربيع الأول عام1172 هجرية موافق 8 نوفمبر 1758م)، ذهب عمرام بن أحفري البناء إلى فاس الجديد لإصلاح سور متداع يرتفع على الأرض بأكثر من ثلاث

قامات، وكان يعمل معه عاملان مسلمان. وسقط عليهم السور وهم يعملون، و[غطتهم الأنقاض].وضجت المدينة، واجتمع هناك اليهود رجالا ونساء وأطفالا، يرومون انتشال الضحايا، من تحت كومة [الحجر]، ولم ينج أحد من هؤلاء الثلاثة. ويوم الجمعة ذهب اليهود مرة أخرى إلى هناك، ولم يقدروا على إزاحة تلك الكومة المذكورة. وقام القاضي وتوجه إلى المسلمين قائلا: "إذهبوا وانظروا إلى عمل اليهود، لأنهم على يهودي واحد هرعوا رجالا ونساء وأطفالا يُشْرفون على إزاحة ذلك الركام. وأنتم لم يوفقكم الرب إلى أن تهتز أنفسكم لتنشلوا مسلمين من تحت الأنقاض. ولم يتحفز إلا القليل لمساعدة اليهود، ومع هذا لم يُنْتَشل الموتى.

وفي مساء السبت المقدس استأجر اليهود قليلا من المسلمين بمبلغ قدره ثلاثمائة أوقية لأخراج الموتى يوم السبت. وكذلك صنعوا. ذهب المسلمون المذكورون يوم السبت إلى مكان الحادث،وظلوا يحفرون إلى العصر. فأخرجوا الموتى المذكورين. وعلى الفور أخذ جماعة الوداية اليهود للذهاب معهم. وسحبنا الميت من رأسه إلى خارج الملاح، ودفناه في مكان خارج" المدينة" معروف بـ"الجيسة ".

ويوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر تموز، جاء الملك سي محمد بن مولاي عبد الله، سمت جلالته، إلى هنا، بخلق كثير وبيد قوية. وذهب اليهود للسلام عليه في مكان إقامته بدار الدبيبغ. وقابلهم مسرورا. واستقبله الوداية كذلك، وسط المعسكر. ويوم الثلاثاء الثاني من شهر آب، أرسل أحد كبار الوداية ليأخذ الراتب بأمره. وذهبوا فرحين راكضين بعد الرشوة، ولما اجتمعوا عنده، أكرمهم، فأكلوا وشربوا، وأخذهم إلى بستان وكان الملك كَيِّسًا. وعوض أن يعطيهم الراتب أذن للقواد بتكبيلهم بالسلاسل، وبقوا محتجزين في دار الدبيبغ.

وحين انتهى ذلك إلى علم الذين بقوا بفاس الجديد، حزنوا وأخذهم الرعب؛ لأن قادتهم وشيوخهم وحكامهم وأغنياءهم، أُسَارَى. وعلى الفور أُقْفلت المدينة. وأَرْسل إليهم الملك، سمت جلالته، يأمرهم بالخروج من المدينة. وتمردوا عليه وقالوا: " لاحاجة لنابه". ويوم الخميس الرابع من شهر آب المذكور، فتحوا المدينة، وفروا بأنفسهم. ولما سمع الملك، سمت جلالته، بهروبهم فرح وكان ذلك وقت المساء. وعلى الفور ذهب اليهود إلى الملك سمت جلالته، ليعين لهم قائدا وقاضيا ليحرس إسرائيل. فقال لهم: لا، ليس لليهود ما يخافون منه، اذهبوا إلى بيوتكم [سالمين].

ويوم الجمعة صباحا، أرسل الملك، سمت جلالته، أربعة قواد لحراسة المدينة [حي اليهود]. وبعد ذلك أرسل إثناعشر قائدا مع القائد علال بن سعود ليقول إنه مع اليهود. وأوصى بعدم إرهاق أي يهودي ومن فَعَلَ ذلك، يَمُوت.

ويوم السبت المقدس، السادس من شهر آب، دخل الملك، سمت جلالته، فاس الجديد، وجاء مولاي إدريس إلى المدينة مساء. وقال: كل من قبض من يهودي ولو درهمًا سُخْرَةً، عقابًا يُعَاقَب بأمر الملك. وجاء لهم بطعامهم[بما قدره] مائة أوقية من الفضة الجيدة، وثلاثة ككارات لكل واحد من الخدم. وأوصاهم باليهود. وعاد الملك إلى المعسكر عند مساء السبت. وأُقْفلت الأبواب حتى لا تمتد يد الجند إلى اليهود.

وفي صباح يوم الأحد، جاء مولاي إدريس، و أمر بفتح الأبواب. وخرج من أراد الخروج ودخل من رضي الدخول. وعلى الفور خرج اليهود، رجالا ونساء وأطفالا، خارج المدينة.

ويوم الخميس، قيل إن النار إندلعت في البارود الذي يوجد وسط " البرجا" الذي بالملاح. ولما سمع اليهود هذا الخبر السيء، فروا هاربين بأنفسهم رجالا ونساء وأطفالا. ولما عُلم أن هذا الخبر كاذب، عادوا إلى بيوتهم سالمين. وهم

عائدون، سمعوا أن العرب دخلوا إلى المدينة [الملاح]، فعاد اليهود إلى المخابيء. ولما علموا أن هذا الخبر كاذب كذلك، عادوا إلى بيوتهم سالمين.

وفي ليلة الجمعة، أذن اليهود في الأسواق والدروب بحراسة الحي، حتى لا يبقى واحد من المسلمين داخله. وفي الصباح، أرسل الملك سمت جلالته القواد، وأمر الملك سمت جلالته كل من دخل الملاح بعدم إذاية اليهود. وقالوا : إن الملك رأى في حلمه أن الأرض خضعت له وأوصته باليهود. ويوم الإثنين، الثامن من شهر آب، دخل الجيش إلى الملاح لحراسة [الحومات].

وفي صباح يوم الخميس، السابع والعشرين من شهر حشوان، سنة 5518 لبدء الخليقة (27 صفر عام1171هجرية موافق10 نوفمبر 1757م)، مات مولاي عبد الله. وفي اليوم الثامن والعشرين من الشهر المذكور، بايع أهل فاس البالي إبنه سي محمد، واستقر الناس واطمأنوا. وقد كان السي محمد، عاملا لأبيه على مراكش، كان أميرا عظيما، سيدا لكل النواحي المحيطة بها [أي بمراكش]. وقد شرع في الأخذ بزمام الأمور في حياة أبيه المذكور.

وجاء اليوم، يوم الأحد، الثامن والعشرين من شهر طيبث من السنة المذكورة(27 ربيع الثاني 1171 هجرية موافق 8 يناير 1758م)، إلى فاس بجيش عظيم ويد قوية. وخرج الوداية وأهل فاس البالي واشراقة وعبيد سيدي البخاري ومعهم اليهود لإستقباله. واستقبلوه بالطبول والرقصات. وتولى الملك بعد أبيه المذكور.

ويوم السبت المقدس، عاشر شهر آذارالثاني، أخذ "القونسون" الشرير الذي كان مسجونا عند الملك سمت جلالته، "كابوسْ مْعَمر بالثْقيل والبارود"، أدخله في فيه، و سدد في بطنه ومات. ويوم الإثنين، الثاني عشر من الشهر المذكور، سافر الملك من هنا إلى مكناس.

أذكر للذكرى، إنه يوم السبت المقدس من أول شهر نيسان من سنة 5488 لبدء الخليقة (2 شعبان 1140هجرية موافق 13 مارس 1728م)، مات الملك

مولاي إسماعيل ارتفع مجده، و ملك بعده مولاي أحمد، سمت جلالته. ويوم الثلاثاء رابع نيسان من سنة 5489 (4 رمضان عام 1141 هجرية موافق 3 أبريل 1729م)، عزلوا مولاي أحمد و نصبوا مولاي عبد الملك مكانه. ويوم الثلاثاء، الثامن والعشرين من شهر آب من السنة المذكورة (28 محرم 1142هجرية موافق 23غشت 1729م) نهبت مدينة مكناس. وأبعدوا مولاي عبد الملك. وفر مولاي عبد الملك إلى فاس و أعادوا لمولاي أحمد ملكه. وعاد أخوه وحارب أهل فاس، وشايعوا مولاي عبد الملك، و قبضوا عليه و جاءوا به إلى مكناس محجوزا ليد الباشا مساهل حتى سقط مولاي محمد مريضا وأوشك على الموت، فقتلوا مولاي عبد الملك يوم الثلاثاء فاتح شهر آذار الثاني سنة 5490 لبدء الخليقة. و في الخامس من شهر آذار المذكور، بايعوا مولاي عبد الملك سمت جلالته، وحكم الى غاية أول سنة 5495لبدء الخليقة ، ولما مرض بايعوا مكانه مولاي علي سمت جلالته. ويوم الإثنين السادس عشر من شهر حشوان سنة 5497 (16 جمادى الثانية عام1149 هجرية وافق 21 أكتوبر 1736م)، نصبوا سي محمد بن عربية في المكان المعروف بمشرع الرميلة. وفي ليلة الثلاثاء، جاء من مدينة مكناس وذهب عند البربر، ونهب مدينة مكناس للمرة الثانية. وبايعوا في شهر تموز من سنة 5501 (ربيع الثاني 1154هجرية)مولاي المستضيء سمت جلالته.

ويوم السابع والعشرين من شهر حشوان سنة 5496، مات مولاي عبد الله بفاس. ويوم الإثنين فاتح شهر كسلاف من السنة المذكورة، ورد الخبر من سلا بأنهم بايعوا سيدي محمد ابنه. وتوجهوا إليه من مكناس وفاس وسلا، وتطوان إلى مراكش.

ويوم السبت المقدس، السابع والعشرين من شهر حشوان، بعد صلاة الصبح، اهتزت الأرض مُحدثة صوتا عظيما. ودامت الزلزلة قرابة ثمُن ساعة. وفررنا من البيوت إلى شوارع المدينة، وكانت الأرض تهتز من تحتنا كتحرك شجر الغابة. وانتابنا فزع كبير، وخشينا أن تصبح بيوتنا قبورا لنا لأننا رأينا

بأعيننا الحيطان تفصل الإنسان عن أخيه. وضج الناس واختلطوا، وسقطت كثير من البيوت. والحمد لله أنه لم يمت أحد، لأننا فررنا جميعا. وحدث زلزال مماثل بمدينة سلا في اليوم المذكور.

وبعد ربع ساعة تقريبا عن حدوث الزلزال، سمع صوت زلزلة في البحر، وتلاه تدفق الماء من منفذ البحر. وبقيت الفلك راسية في مكانها، وبعد ذلك عادت المياه إلى مكانها بهيجان كبير دفعة واحدة. ومر السيل من طريق ضيق، وغمر المسلمين الذين كانوا في" الفلوكة"، وغمر الذين كانوا على شاطىء البحر. ولم يمت أحد من بني إسرائيل. و حدث يوم السبت المقدس زلزال بمدينة سلا. وكان زلزال عظيم بمكناس ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر كسلاف، وسقطت دور كثيرة، ومات من بني إسرائيل أكثر من مائتي نفس، وكانت بيوتهم قبورا لهم. وبعد مرور الزلزال كان الناجون يزيحون التراب عليهم ثم يدفنونهم. ودفن أكثر الهالكين على هذه الطريقة: كانوا يحفرون حفرة كبيرة، ويضعون فيها عشرة أشخاص أو أكثر. ومات من الناس أكثر من خمسة آلاف، وسقطت كثير من الدور والساحات. والدور القليلة التي بقيت شاهدة، كانت في حالة سيئة. وكان أكثرها يسقط من تلقاء نفسه. وسقطت كثير من البيع. وفي مدينة المسلمين(حي المسلمين)سقطت الصوامع والجوامع. وسقط من أسوار المدينة قرابة سبعين ذراعا. وخسر اليهود في بناء السور أربعمائة مثقال. وكان هناك حراس يحرسون طيلة الوقت الذي كانت فيه الأسوار محطمة (خشية) لصوص الليل. ونصبنا الخيام في ساحة المدينة.

وورد الخبر من مدينة سلا بأنه حدث هناك زلزال كذلك، ولم يمت أحد من بني إسرائيل.

ويوم السبت المقدس، الثامن عشر من شهر كسلاف، كانت زلزلة أخرى. وهرب الكثيرون. ووقع في مدينة مكناس ليلة الخامس عشر من شهر

كسلاف، أن كانت بيوت الناس قبورا لهم في المكان المعروف بمولاي إدريس.، وفي فاس تداعت البيوت وسقط بعضها ولم يتضرر أي منها.

وجاء الخبر من بلاد النصارى يفيد إنه كان منهم ناجون. وكانت بيوتهم قبورا لهم. وفي مدينة لشبونة، كان زلزال عظيم يوم السبت في الوقت الذي كان فيه زلزال هنا. وسقطت عليهم نار من السماء، وهاج البحر. ولم يترك الزلزال الذي حل بهم، والذي أسقط عليهم بيوتهم ، إلا فردا أو اثنين من الأسرة الواحدة. وحدثت بمكناس هزات صغيرة طيلة أسبوع، وبقي الناس في الخيام إلى فاتح شهر أيار.

وكان زلزال في الحادي عشر من شهر سيوان، فهربنا رجالا و نساء وأطفالا من البيوت، وهدأت الأرض بسرعة. ويوم الخميس، فاتح شهر أيلول، كان زلزال، فهربنا فارين من البيوت رجالا ونساء وأطفالا. وخبر الثقات أن الزلزال أسقط سورين بآزمور.

وليلة الجمعة، خامس شهر حشوان سنة 5517 لبدء الخليقة ، كان زلزال عظيم ولم يتضرر أحد.

وفي سنة 5520 لبدء الخليقة ، يوم الواحد والعشرين من شهر طيبث، ليلة السبت المقدس، عند آخر الليل، كان زلزال من هناالى مكناس. وقالوا: إنه كان هناك زلزال كبير في صفرو أيضا. وذكر ذلك كذلك أناس قدموا من مدينة سلا، ولم يتضرر أي آدمي. وفي سنة 5521 لبدء الخليقة، يوم السبت المقدس مساء، هبت ريح عاتية وكانت أمطار كثيرة وثلج؛ وسقطت إحدى العليات على تسعة فتيان كانوا يدرسون في حلقة بجانب أستاذهم، وماتوا جميعا.وكان هناك فتيان كثيرون لم يدخلوا، وبرحمة الله نجوا من الموت.

وكان صياح عظيم، وبكاء شديد في المدينة كلها. وانتهك اليهود السبت لانتشال الموتى، وأخرجوهم موتى. جعلهم الرب كفارة لكل جيلهم. جعل الله حدا لأحزان إسرائيل.

وكانت في مدينة سلا ريح عاتية، مثل الريح التي كانت هنا يوم السبت. وخيل للقرصان أن سفينته ستتحطم وتغرق. وكانت هنا بمكناس ريح عاتية ليلة الثالث والعشرين. وقال بعض الناس إن كثيرا من أشجار الزيتون تكسرت. الله يصرف غضبه عن شعبه. فلتكن المشيئة كذلك.

ويوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر آذار الثاني من سنة 5522 لبدء الخليقة، حدث زلزال عظيم عند منتصف النهار.

وفي الثلث الأول من شهر أيار سنة 5526 ، جاءت سفن الفرنسيين إلى مدينتي سلا والرباط لتمنع خروج أية سفينة للقرصان من مدينة سلا. وكانت سفينتان منهما تطلقان "بومباس". ويوم الأحد حادي عشر سيوان، أطلقوا على المدينة أزيد من ستة آلاف ومائة وأربعين "بومبة"، منها ما سقط على المدينة، ومنها ما سقط خارجها. وضجت كل المدينة، وَهَمَّ أبناء المدينة بالفرار خارج المدينة مخافة سقوط الحيطان. لأن القذيفة كانت ترتفع إلى كبد السماء باهتزاز كبير، وتسقط على الأرض محدثة انكسارات. وكانت تلك القذائف تقع على الأرض في بعض الأحيان، فتخلف بها حفرا. وكانوا يخرجونها مليئة بالبارود، ولولا الرب القوي، لصارت بيوتنا قبورا لنا.

ويوم السبت المقدس الثامن عشر من الشهر المذكور، اجتمع المسلمون، وكانوا يقذفون سفن النصارى بالمدافع، وأبعدوهم عن المدينة. وكان النصارى يرمون بالقذائف فتسقط على شاطىء البحربعيدة عن الهدف. وظلوا يقذفون القذائف من منتصف النهار إلى ثلث الليل. ولم يتضرر أحد. ويوم الأحد سقطت بعض الحيطان، ومات مسلم واحد وسط المدينة.

ومن هناك، ذهب النصارى إلى مدينة العرائش، وخاضوا هناك معركة كبيرة، وأحدثوا خرابا. وكانوا يرومون دخول المدينة بسفن صغيرة. ونزل العرب إلى وسط البحر، وأوقعوا بالنصارى، وقتلوا كثيرا منهم، وقُتل كثير من

العرب. وأسر العرب من النصارى مائة أو أكثر، وذهبوا بهم إلى قصر الملك سمت جلالته.

ويوم الإثنين التاسع عشر من شهر نيسان سنة 5534 لبدء الخليقة (18 محرم 1188 هجرية موافق31 مارس 1774م)، عند الفجر كان زلزال عظيم، فهرع الكل هاربا من البيوت. وورد الخبر من طنجة، بأنه سقطت مائتان من البيوت، ولم يتضرر أحد. وسمعنا بآذاننا وخبرنا آباؤنا، إنه في سنة 5539 لبدء الخليقة، حل ظلام بكل العالم، وكُسفت الشمس فعمت الظلمة كل الأرض. وحدث هذا هنا (بفاس)، يوم فاتح تموز سنة 5539 لبدء الخليقة وقت آذان صلاة العصر عند المسلمين، أن كسفت الشمس كسوفا كبيرا، وكانت تقل شيئا فشيئا، وقل النور بالتدريج، وضجت المدينة، وخرج الرجال والنساء والأطفال إلى ساحة المدينة؛ وكان كل واحد يدخل أبناءه وبناته إلى بيته. واستمر الكسوف زهاء ساعة واحدة، وغابت الشمس كلها،ولم يُر منها إلا كحد السكين. وكان ظلام في كل الأرض كظلام الليل، وأشعلنا الشموع في دورنا. وبقي العالم مظلما كذلك زهاء ثُمُن ساعة. وعاد النور، وبدأ نور الشمس يظهر شيئا فشيئا. وكان بعد ذلك نُورٌ كنُور الفجر.الرب يضيء ظلمتنا بمجيء مسيحنا.

وبعد ذلك ورد الخبر من مدينة سلا، أن أحد النصارى جاء من بر النصارى ليرى الكسوف، حتى إذا عاد أخبرهم عنه؛ لأن الشمس في أرضهم بعيدة، ولا يظهر فيها الكسوف كما في المغرب. وكان ذلك النصراني، قد أخبر اليهود بأن الكسوف سيقع و تظلم الأرض. وكان كذلك. وأخبرني أحد اليهود إنه كان بطنجة، وكان يريد الذهاب إلى العرائش، وقال له أحد النصارى: إنه قبل يوم الأربعاء فاتح الشهر تكسف الشمس و يحل ظلام بالعالم. وكذلك كان.

ويوم الإثنين الرابع والعشرين من سنة 5551 لبدء الخليقة ورد الخبر إلى هنا [مدينة مكناس] أن سي محمد بن عبد الله مات. وبسماعنا لهذا الخبر أخذنا

فزع ورعدة، وكادت نفسنا تطير منا؛ وبقينا كذلك خمسة عشرة يوما حتى وردت رسالة للوداية يوم الأربعاء، تأمرهم بأن يجتمعوا بالملاح وينهبوا ويسلبوا. ونهبونا وأخذواكل طيباتنا، وكانوا يجردوننا حتى من ملابسنا، وبقينا مجتمعين مذعورين رجالا ونساء وأطفالا. ومن هناك إنتقلنا إلى المدينة، والتجأ بعضنا إلى الوداية وكنا معرضين هناك للسيف نهارا وللبرد مساء، وحل بنا ما هو مكتوب:"فلم يتمكن أحد من أن يرى أخاه.. "اسفر الخروج الإصحاح العاشر، 23]، وانضاف إلى ذلك أننا كنا نتدور جوعا، وكان الصغار يصرخون، يريدون الخبز ولا مجيب لهم. بقينا هناك مجتمعين حتى يوم الأحد مساء عيد العنصرة حيث جاءوا من مدينة تطوان وجمعونا بالملاح.

وفي سنة5550 لبدء الخليقة، سنة "مِي نَطَنْ (من أَسْلَمْ) يعقوب للنهب وإسرائيل للسالبين "، في آخر نيسان، بلغ خبر شؤم من مدينة الرباط يعلن موت الملك سيدي محمد تغمده الله برحمته. وضجت كل المدينة، وكانت فوضى عظيمة، وكان ارتباك في أوساط اليهود، وبين الكوييم [المسلمين] وانتابنا خوف وعجز وذعر، وخِلْنَا أنفسنا موتى، وقلنا إن أهل القبائل سيأتون إلى المدينة يقينا ليسلبوا الجميع، وليستبيحوا النساء. وكان الجميع يفر ويُهَرِّبُ أمواله تحت البيوت. ولم يغمض لأحد جفن هذه الليلة، لأن الجميع كان يحفر ويبني على الأموال. وهناك من هرب أمواله عند الكوييم بفاس الجديد. وفي اليوم الموالي اجتمع كل الكوييم وبايعوا إبن الملك، وكان إسمه مولاي اليزيد، وكان بجبل فارا من أبيه المذكور أعلاه. وكان أبوه يروم قتله لأنه كان متمردا عليه. وحسبنا أنفسنا والأرض مطمئنون، لأنه تم الكَرْز إن السلام استتب في البلاد.

ولم تمض أيام قليلة، حتى سمعنا أن المولى اليزيد خرج من الجبل وذهب إلى تطوان. وخرجت طائفة تطوان [للقائه] وبأيديها هدية يوم السبت المقدس. وأمر بقتل كل يهود مملكته. وأمر لمن أتى برأس يهودي بعشرة مثاقيل. وقالوا (أي الكوييم) بسفك روح الطائفة. وألهم الله أحد قضاة المدينة، انحنى أمام المسيء

وقال له: " لن يكون فعلا حسنا قتل كل اليهود. لأن شريعتنا لا تأمر بذلك ". قال الملك:" إني أخذت عهدا على نفسي مع قبيلة أمهاوش عليها اللعنة، أن أقتل كل اليهود حين أتولى الأمر" . فأجابه القاضي:" ليست هذه بمشورة ، اسلبهم أموالهم وأتركهم كالموتى". وقال قولا طيبا. وعلى الفوراشتعلت المجزرة. وأرسل اليزيد كل القبائل التي كانت معه إلى تطوان، وسلبوا اليهود يوم السبت المقدس. وكان اليهود مقيمين مطمئنين لا يعلمون بما سيحل بهم. وأمرونا أن ننقل ثروتنا وأموال الكوييم التي كنا قَيِّمين عليها على ألف حِمْل. وبعد ذلك أرسل [الملك] الوداية الذين كانوا نازلين بمكناس لسلب ملاح تلك المدينة المذكورة.

وهكذا صنعوا يوم الرابع عشر من شهر أيار. وأخبروا أن المسيء صفح عنهم كي يرجع الفارون من الطائفة، ويخرجوا ثروتهم. واستجاب كثير منهم لهذا الأمر. واجتمع الرجال والنساء والأولاد يتدورون جوعا وظمأ وعِوَزاً، وتعرضوا للسلب بأزقة المدينة.

إذا قلنا نرجع إلى المدينة هلكنا بالجوع، لأن الأعداء الذين سَلَبوا ونَهَبُوا، فقررنا البقاء في الحقول. تعرضنا للقتل والإبادة، وحاق بنا ما هو مكتوب في أسفار العهد القديم "يتكلم سيف العدو في الطريق، ويستولي عليهم الرعب داخل الخدور"[سفر التثنية الإصحاح الثاني والثلاثون، 25]. وكان زمن محنة ليعقوب، لم ير مثله آباؤنا و لا آباء آبائنا من يوم كانوا على الأرض . حتى أنزل الله الرحمات لنا فأشفقوا علينا، وأعادونا إلى الملاح بعد مرور واحد وعشرين يوما. وإذا قلنا: نكتب قليلا من الحوادث [التي مرت بنا] ينتهي الزمان و هي لا تنتهي. جعل الله لمصائبنا حدا.

وبعد مرور التاريخ المذكور أعلاه، ورد علينا المبعوث الربي سيادة أستاذنا الربان نحميا، مبعوث طبرية، وسجَّل أنه في ليلة الخامس عشر من شهر أيار سنة 5550 لبدء الخليقة كان في مغارة الربي شمعون بن يوحاي ، التي

تعودت الطائفة زيارتها لإحياء موسم الربي شمعون بن يوحاي الذي إرتفع إلى السماء يوم الثامن عشر من أيار العبري [ذكرى إنتصار القائد بارخوخبا على الرومان]، وسمع [مع الحاضرين] في تلك الليلة صوت نواح يُهَلِّلُ ، وخرجوا فرأوا كسوف القمر ، فاندهشوا جميعا وقالوا : هناك شيء من الضوضاء في العالم."

وإلى حدود مساء ليلة الخامس عشر من الشهر المذكور ، احتشد كل الكوييم بالمدينة [تطوان] وسلبوا اليهود طيلة خمسة عشرة يوما. نقبوا في كل البيوت وفي ساحاتها ، وعثروا على كنوز ما عرفها آباؤهم ولا آباء آبائهم. وهكذا كانت مشيئة الرب.

وفي تلك الليلة ، كسف القمر كسوفا كبيرا ، لأنهم أحرقوا سفر التوراة. وفي فاس حدث كذلك يوم الرابع من الشهر المذكورأَنْ اقتحم العبيد المساكنون لنا الملاح ، فسُلبنا ونُهبنا. واجتمع القواد وقسموا بينهم البنات: من يغنم هذه، ومن يغنم تلك. وكنا نفر من غرفة إلى غرفة ، وكانت النساء تنحن، وهناك من أجهضن مخافةالعار.ولم يذهب أحد إلى بيته طيلة ليلة الخامس عشر ، لأنهم كانوا مجتمعين أُسراً أُسراً يبكون عائلاتهم. وأنزل الرب بقلب أم المسيء [رأفة] فأرسلت إليهم، آمرة أن لا ينهبونا ، فرجعوا خائبين. وكذلك صنع [المسيء] بطائفة القصر.أرسل إليهم، ونهبهم، وأخذ منهم كنوزا كثيرة. وكذلك صنع بطائفة تازة. نهبهم وأعطى بلدتهم للعبيد. وهاجر اليهود من هناك عُراةً حفاة، ونزلوا بالمغارات المحيطة بالمدينة. وهدم الكوييم البيعة ، وبنوا محلها مسجدا لهم، وفي النهاية ألهم الله القائدِ الحلاف ، فطلب من المسيء أن يغفر لليهود ، وأن يسمح لهم بالعودة إلى مدينتهم. والحمد لله.

وفي يوم الثامن عشر من شهر أيار ، وصلت رسالة من تطوان إلى يد والي المدينة تأمر بأن تعطيه طائفة يهود فاس ضريبة ، وإن لم يعطوا؛ كان عليهم أن يغادروا الملاح. وبمجرد سماعنا لهذا الأمر ، أخذنا الرعب ، واجتمع أعضاء الطائفة الذين بقوا في المدينة ؛ لأن أكثر اليهود كانوا فروا منها. وقمنا بتقييد

الضريبة بالترتيب. وبدأنا في الجباية فجمعنا ما يقارب إثنا عشر مثقالا فضة من كل فرد وأربع مثاقيل رشوة، وأدى كل الحاخامات الضريبة. وأعطيت أنا وبيت أبي ما يعادل مائة وخمسين مثقالا. [صنعنا] كل هذا حتى لا نغادر مدينتا لكن ذنوبنا جعلتنا نخسر ضعفين. أخذوا كل مالنا، وبعنا كل ما كان عندنا لأداء الضريبة المذكورة.

وبعد ذلك أتى المسيء إلى فاس، وخرجت كل الطائفة، وأخذت معها هدية جمعتها لاستقباله. ولم يلتفت [المسيء] إليهم أبدا، ولم يأخذ الهدية منهم، فأقفلوا راجعين بنفس مخفقة. وسأل المسيء القائد، هل سدد اليهود الضريبة؟. فأجابه القائد إن اليهود لم يعطوا إلا إثنا عشر مثقالا للفرد. وصباح يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر سيوان، أرسل المسيء إلينا مبعوثا، فجمعنا وقال: "اعطوني ألف مثقال سخرة لأن اليزيد عفى عنكم"، وأعطوه وصلا خطيا بذلك. وأضاف [المبعوث] قائلا: إن عفوه عليكم شمل ثروتكم وأنفسكم لاتتضرر أبدا، لكنه أمر بأن تخرجوا من المدينة وتسكنوا بالقصبة ذالشراردة". وحين سمعنا هذا [الكلام] أخذتنا رعدة، وإنتابنا ذعرالإجابة، فكلامه كان يحمل [صفة الإلزام]:" قوموا واخرجوا من هذا المكان" وعلى الفور، أتى كثير من العبيد والقواد، مُعَجِّلين لخروجنا من المدينة، فبدأنا في الخروج.

إذا رمت تسجيل كل الأحداث والوقائع التي حدثت لنا، ينتهي الزمان وهي لا تنتهي. وكان أن كانت في اليوم المذكور[يوم الخروج من الملاح] حرارة عظيمة لأن الشمس يشتد لهيبها في سماء تموز ونحن نمشي راجلين حفاة إلى القصبة المذكورة، نمشي رفقة الحمير والحمالين الذين كانوا يحملون أمتعتنا وكانوا يضعونها هناك في الشوارع، وكانت الطريق بعيدة. وحدث في نفس اليوم أن العبيد من جيراننا سافروا مع نسائهم وأطفالهم للسكن بمكناس، بينما قدم ثلاثة آلآف من الوداية، الذين كانوا بمكناس، للسكن هنا بفاس صحبة نسائهم وأطفالهم ، فكان هؤلاء يخرجون ونحن نخرج وهؤلاء يجتمعون .

وكان إزدحام عظيم وغبار كثيف وحرارة كبيرة. وكان العرق يَرْشُحُ علينا كالماء. وكنا نُقَبِّل حيطان البيع. وعلى الطريق "فتخشى الأمم إسم الرب..." [المزمور الثاني بعد المائه 15] كان اليهود يَبكون ويُبكون على كل النكبة التي أصابتنا.

وكان القرار يفيد بأن من بقي [بالملاح] إلى حدود المساء دمه على رأسه [أي يقتل]، وكثر السُّلاَّبُ والنُّهاب في الطريق. وكانوا يسلبوننا حتى لم يبق لنا إلا القليل مما كان لنا. وكم هم أرباب الأسر والفقراء والحاخامات والعجزة الذين تركوا مالهم بالمدينة من شدة الخوف.

وتركنا بالمدينة أمتعةً وزبيباً وخمراً كثيرا وماء متقدا ، مماقدره خمسون ككارا فضة. ولم يسمح لنا بحمل الزبيب والخمر وماء الحياة المتقدة ؛ لأن الملك فرض على بيع ماء الحياة صكا قدره ستة أواق للزجاجة، وكان يشرب الماء المتقد كثيرا. ويمكن أن يصنع الخمر وماء الحياة التي تركنا في المدينة نهرا كبيرا نظرا لوفرة الخمر الذي صنعنا تلك السنة ، وحتى الفقير في بني إسرائيل صنع خمرا.

تركنا بالمدينة الزبيب والفواكه والخشب بدون عد، والصناديق والموائد والدّنان الكبيرة والصغيرة، وأدوات الفخار للخل والفطير، القدر الذي لا يمكن عده.

ودخل المسلمون بيوتنا، وأخذوا كل الأقفال وأبواب البيوت والبيع والمدارس. دخلوا إليها [أي إلى البيع والمدارس] وأخذوا منها كل المقاعد والهياكل، وأخذوا توابيت العهد [أسفار التوراة]. وكان اليوم كيوم خراب الهيكل المقدس. وصارت البيع ميدانا للبدع والزنا. وكان [المسلمون] يهدمونها، ويصنعون [بألواحها] ماء الحياة. وأمر الملك أن لايصنع أحد ماء الحياة مع بني إسرائيل.

وكلف الملك أحد قواده ببيع ما أخذوه منا من طيبات. ومكثنا في القصبة معرضين لحر النهار وبرد الليل ، وحق علينا القول:" وكذلك فإن أكثر النساء رقة ورأفة، والتي لنعومتها وترفهما لاتجْرُؤ على لمس الأرض...إلخ." لسفر التثنية إصحاح الثامن والعشرين 56]. وصارت وجوهنا كحواشي القِدْرِ سَوَّدتها الشمس. وكنا نسكن الخيام كالبدو والأعراب. ولَم تبق لنا معرفة ولاصلاة ولاتوراة. لأن معرفتنا حرمت من كثرة الحزن والكرب. ولم نعد نصلي لأنفسنا، لأننا لم نجد مكانا نضع فيه أسفار التوراة من كثرة الوسخ. وكان الجميع يقذف غائطه في شارع القصبة. وكانت رائحة كريهة في كل القصبة. وكنا في حزن كبير على السبت المقدس والصلاة لأن كل الأماكن " امتلأت بالقيء، ولم يبق مكان لم يُلَوّث " [إشعياء الإصحاح الثامن والعشرين 8].

وكانت النساء الكريمات يستقين الماء. وكنا نؤدي ثمن الماء. وحتى الفقير من بني إسرائيل كان يشتري الماء كل أسبوع بما قدره أوقية ونصف. وفي الصيف نفسه كثر الذباب والقمل، والزواحف والعقارب والفئران والثعابين. ولم نكن ننام حتى سئمنا الحياة. ومات كثير من الأطفال من شدة الحر. وفي كل يوم كانت تهب ريح عاتية من جهة الجبال، كانت تكسر الصخور وتسقط الخيام. وكانت تملأ عيوننا وآذاننا بالتراب وبالغبار. وكانت تطفيء الشموع في الليل، فتتركنا في الظلمة كالموتى، وكنا نأكل في الظلام كل ليلة السبت المقدس.

وأَمَر المسيء بحفْر مقبرتنا ليستعمل رملها وحجارتها التي على القبور في بناء جامع وصومعة في الملاح. وقام بنفس الأمر في أماكن أخرى من فاس البالي، كالمحل المسمى"بوطاعة" و"بوجلود"، وبنى جامعا بالمكان المعروف "بالرصيف"، لأن المقبرة كانت كبيرة جدا. وكانت جماعة من المسلمين تحفر في موضع، والبهائم والحمير تنقل التراب والحجر لبناء سور "السلوقية" الجديدة أيضا.

وحفرواالقبور القديمة التي مر عليها أكثر من ثلاثمائة سنة: السفلى، الثانية والثالثة، وكانوا يجدون دورا وخزانات ماء، وحيطانا تحت الأرض، مما هو من عمل الأجيال الأولى. وكان الخدم يأخذون أكفان الموتى التي بها فضة وذهبا. واغتنى كثير من العمال بهذا العمل.

وحفروا كذلك مقبرة أحبار قشتالة طيب الله ذكراهم، ونبشوا ما لا يمكن عده من قبور الصدقين والفضلاء وأعيننا تنظر. كنا نذهب كل سبتين (خمسة عشرة يوما) وكل شهر مع قائد القصبة إلى المقبرة، وكنا نجمع العظام والجماجم وأيدي وأرجل الأرجل الموتى المبعثرة. وأعددنا حفرة كبيرة في المكان المعروف " بالجيسة "ودفنا تلك العظام هناك. وكان [المسلمون] يرموننا بالحجارة والعصي ويقولون لنا:" إذهبوا من مدينتنا، لأن مولاي اليزيد أخذها منكم وأعطانا إياها "؛ وكانوا يُصِرُّون أسنانهم علينا، وكنا خاضعين لهذا الحكم، وكنا نذهب رجالا ونساء وأطفالا لجمع العظام.

وفي أحد الأيام، كان الخياطون متوجهون عند المسيء، ومروا بجانب المقبرة ورأوا قبر الصالح الحبر الأجل يعقوب بن رئويين بنصور يُنبش ، فأخبرونا بذلك. وأرسلنا أبناء الجماعة بعد ذلك و في أيديهم كيس، فجمعوا عظام الحبر المذكور، ودفنوها في المكان المعروف بالجيسة، وكنت أخشى على قبر سيدي وجدي طيب الله ذكراه ان يتسلط عليه الأعداء، وأوصيت الخدم بأن الزعيم الربي يوسف عطية، رعاه ربه، يقف ليجمع العظام التي تسقط كل يوم ليخبروني بمجرد أن يشرع المسلمون في تحطيم قبر الصالح، وكذلك صنعوا . وفي يوم من الأيام جاءوا و أخبروني أنهم شرعوا في تحطيم قبر الصديق وطلبوا منِّي أن أسرع، وعلى الفور اجتمعت كل الطائفة، وذهبت أنا وأسرتي إلى المقبرة، والتمسنا من المسلمين أن لا يحطموا القبر قبل أن نجمع عظام الصديق، وقالوا لنا:" اعطونا مالا ونتركه"، وخفنا أن يطلبوا بعد اليوم هم أو غيرهم هذا الطلب، وجاء أبناء الجماعة ونقبوا ثقبا في القبر وأخذوا كل عظام الصديق

والتراب الذي تحته، وكان فيها المر المعروف بالمسك. واندهشنا لما رأينا ذلك خاصة وأنه مرت على وفاته ستون سنة.

وفعلنا بقبر الحبر الأجل مَتَتْيَا سيريرو طيب الله ذكراه نفس الأمر: أخذنا عظامه عظما عظما ووضعناها في جرة ودفناها. وكذلك صنعنا بقبر الربان الحبر اللّوْذعي مُوهْرِيبع طيب الله ذكراه، وكانت في عظامه رائحة المسك، وضعناها في جرة، وذهبنا بها إلى الجيسة، ودفنا تلك بجانب هذه، ووضعنا شاهدا على كل واحد ليعلم جدي من الحبر متتيا المذكور، من موهريبع، حتى إذا أعادنا الرب إلى ملاحنا نقلناهم إلى قبور آبائهم.

وعدنا من المقبرة المذكورة إلى القصبة، وجمعنا كل الطائفة، وأحيينا حدادا كبيرا، وبكينا كثيرا على كل الشر الذي حَلَّ بنا.

وسمى المسيء [مولاي اليزيد] مدينته باسم خيبر، وفي مساء التاسع من شهر آب كان المسيء بالقصبة، ورأت الطائفة تقديم هدية له رجاء أن يلين. ولم يكن الوقت مناسبا لذلك، لأنه كان زمن شدة. وخلال هذه الفترة وحسب رأي أساتذتنا، لم يكن من الحسن إثارة قضايا مع غير اليهود، فنجم اليهود كان مضادا. وذهبنا نحن ثمانية وجهاء مع داوود الخريف ، رعاه ربه ، والهدية بين أيدينا، ووقفنا أمام المسيء طيلة النهار، و كان ينظر إلينا من بعيد ويصنع كما لو كان لا يرانا، وكنا صائمين. وفي المساء أرسل إلينا يأمرنا أن نعود يوم غد. ورجعنا بنفس منكسرة حتى أن بعضنا لم يتناول طعام الدخول في الصوم [صوم يوم التاسع من شهر آب].

وفي اليوم الثالث عشر من شهر أيلول أرسل إلينا المسيء [مولاي اليزيد]، وسمح لنا بالعودة إلى مدينتنا والإقامة بالمكان المتاخم للمقبرة، وعلى الفور جاء الحمارون والحمالون، وانتقلنا إلى المكان[المقرر]، وأعطينا سخرة على هذا خمسمائة أوقية، وأقمنا هناك أربعة عشرة يوما في الخيام، آملين أن يرحمنا الرب ويجعل حدا لأحزاننا فنعود إلى بيوتنا. وكنا ننهل الماء من الأبار القريبة منا.

وجمعنا العظام، ووافقنا على العودة وطَمِّ الحفر[التي خلفها الخدم]" هذا مصير الخدام الواثقين بأنفسهم" [المرموز التاسع والأربعون، 13].

وعلى الفور أرسل المسيء [مولاي اليزيد] يأمرنا بالعودة إلى القصبة. وجاء الحمالون والحمارون يوم الإثنين السابع والعشرين من شهر أيلول فانتقلنا إلى القصبة، ومرت بنا محن أكثر من إنتقالنا الأول. ولم يسمحوا لنا بإخراج أي شيء. وأخذوا منا أموالا وأواني إما بالسرقة وإما علانية، عدا أجر الطريق البعيدة، وكان قَيْضٌ وحر يكسران الدماغ. ووهنت قوتنا واشتدت أزمتنا.

وأمر المسيء بأن لا يلبس يهودي ولا يهودية لباسا أخضر، وجاء القائد للقصبة وخبرنا بذلك باسم المسيء. وأمر بذلك في كل مدن المغرب، وخسر اليهود أموالا كثيرة. وجمعوا لباس" السكرلاط" الذي كان لأكثرهم، ليصبغ بلون آخر. وفسد الثوب، ولم تبق لهم في ظرف سنة واحدة أية "جلطيطة" لأنها فسدت جميعها، وكان عليهم شراء كسى بلون آخر.وتجبر العدو، وكان قواده الأشرار يبصقون علينا ويذلولنا. وقتلوا شابا في طريق فاس البالي، وسمع المسيء بذلك ولم يهتم.

وكان المسلمون لا يخاطبوننا إلا بالشتائم المُعَنِّفة، وقرر الملك أن لا يرى يهوديا وأن لا يتكلم مع اليهود قط، وقتل كل اليهود الكبار الذين خدموا أباه سمت جلالته، إما قتلا أو شنقا؛ مثل الحبر الأجل مسعود بن زكري وآخرين معه علقهم من أرجلهم بباب مدينة مكناس، وظلوا معلقين أحياء طيلة خمسة عشرة يوما وهلكوا بعد ذلك، وكان المسلمون يجتمعون ليسخروا منهم، ولم يُدفنوا إلا بعد مرور شهور.

وصنع نفس الشيء في تطوان، فقتل يهودين.[فعل كل ذلك] لأنه اجتمعت فيه روح هَوَسٍ همات عدو اليهود.

وأرسل [اليزيد] إلى كل مدن المغرب لسلب اليهود، وسَجْن رجال كثيرين. ومزقت وأُحرقت كثير من أسفارالتوراة، وبدل كثير من اليهود دينهم،

وكانت المصائب الأخيرة تُنسي المحن الأولى، حتى لم يعد بيننا من يفتح كتابا.وغادر أغلب الطائفة" الحاخامات والربيون القصبة" فهناك من ذهب إلى مكناس، وأكثرهم هاجر إلى صفرو، وهناك من ذهب إلى فاس البالي واستقر في فنادق الكويبم [المسلمين].

وكانوا يأتون من مساء السبت إلى مساء السبت يشترون اللحم ثم يعودون، وقضينا" يَميمْ نُورَائِيم" [الأيام الواقعة بين رأس اليهودية ويوم الغفران] في الخيام كما يفرح الأبرار حين يريدون عقاب الأشرار..." [المزمور الثامن والخمسون، 10]؛ ولما كثرت الأمطار والبرَد ، صنعنا "نواويلا" من قصب مملطة بالطين والتراب. وصدَقَ علينا ما هو مكتوب: "وتعيشون حياة مفعمة دائما بالتوتر، مليئة بالرعب ليلا ونهارا.."[سفر التثنية الإصحاح الثاني والعشرون 61]، لأننا كنا نقيم في مكان مهمل، ولم يكن المسلمون يحيطون بنا. وكان ذلك المكان في طرف المدينة معرضا للحوادث وللهجوم، وكان الرب معنا، وهو الرحيم، وقاصينا من غلاء المعيشة وقلة المؤونة.

وفي شهر آذار من سنة 5551 لبدء الخليقة، شب حريق في النواويل المذكورة واحترقت خيام كثيرة، وأواني عديدة. وخرجنا من القصبة ليلا خارج المدينة بجانب النهر وسط ألسنة اللهيب التي كانت تصل إلى قلب السماء، وقلنا إننا هالكون لا محالة جميعا. وخرجنا على عَجَل من الباب، وأثناء خروجنا سقط بعضنا على البعض الآخر، وماتت طفلة صغيرة. وحين سمع المسلمون النازلون بالقصبة القريبة منا بذلك، جاؤوا مستعدين لسلبنا وألهم الرب حاكم المدينة، فرفع عينيه، ورأى النيران من فاس الجديد وقال: " الآن سيسلبهم جيرانهم الأشرار". وشد حزامه، وأمرأصحابه بمرافقته، وجاء راكبا على فرسه، وقبض على كثير من المسلمين، وضربهم، وبقي معنا حتى أُخمِدت النيران، وكنا كل ليلة ننادي بإطفاء الشموع والتنانير مخافة اندلاع الحرائق، وكانت النيران تشب مرات عديدة ولم تكن نيرانا عظيمة.

وفي سنة 5552 لبدء الخليقة، مساء عيد التوراة، [آخر يوم من عيد المظال]. بعد صلاة المغرب، أحطنا بأسفار التوراة كما هي العادة في ذكر خراب الهيكل، وضجت القصبة، وكان صياح كبير لا مثيل له، لأن النار اندلعت فأحرقت قرابة مائتين من النواويل، واحترقت كثير من الآواني والكتب والصناديق، والموائد، وجرار العسل، وجرارالزيدة و"الخليع"، مما قيمته عشرة ككارات فضة، واحترق تابوت العهد. ولم يتمكن أحد منا من إنقاد أمتعته لأن النيران كانت تثب وتَطْفَرُ من جانب إلى جانب، واشتدت، وارتفعت ألسنتها إلى عنان السماء. وفررنا إلى ساحة القصبة، وجلسنا هناك رجالا ونساء وأطفالا إلى حدود منتصف الليل، وكان اليهود والمسلمون يضربون بالعصي، ويسقطون النواويل لعل النارتنطفىء. وقد احترقت لي ثلاث نواويل، كانت إحداهما بيعة. واحترقت لي كذلك بعض الكتب، ولولا ولدي عوبيد، الذي دخل وسط النار، وخلص بعض أمتعتنا، لضاع لنا كل شيء.

ورأينا بُكرة يوم الغد دخانا يتصاعد من الأرض كدخان الأتون لأن النار كانت ما تزال مشتعلة في قنا القصب. وكان وجه الأرض أسود كالفحم. ولم يصل من الطائفة يوم عيد التوراة إلا القليل. واجتمع اليهود، وذهبوا عند المسلمين وعند أم الملك، وخبروها بأحزاننا، ورقت لحال إسرائيل، وكتبت رسالة الى مزيد [المسيء] عسى أن يلين، وأخبرته بالحريق العظيم الذي شب في مخيمنا. وكتب الوداية رسالة كذلك يستعطفونه فيها بإرجاعنا إلى حينا. لكن حدث نقيض ما طلبوا . فرح [اليزيد] بمصائبنا، وقال: " حتى نقطع الطريق على كلام الشيطان، أعطي المدينة للمسلمين المذكورين [الوداية] الذين طلبوا مني إعادة اليهود إليها" ولم يعودوا يتوسطون عنده قط، وكذلك صنع. وكتب إلى الوداية، وأعطاهم مدينتنا، واجتمعوا فيها، وقسموها فيما بينهم. وقبل ذلك، كانت قبيلة بني يمور البربرية ساكنة في زقاقنا واجتمع في الأزقة الأخرى، خُدَّامُ الملك والأشرارُ وقتلةُ الأنفس وغير ذلك، وشرعوا في إقامة صلاتهم في

بيعتنا. وفي مكان بيعة التوشابيم [الأصليين] الخربة، بنوا جامعا وصومعة، وذبحوا أكباشا حين بنوا الجامع لدفع الشر، لأنهم تطيروا من وجود الدف والمزمار هناك. ولم يبق لنا إلا أن نطلب من أبينا الذي في السماء، أن يقضي بعودتنا إلى حينا.

ويوم الجمعة، ليلة عيد العنصرة، جاء أحد الشرفاء، بأمر من المسيء، يلزم الطائفة بإعطاء خمس ككارات فضة، وادعى أن مال الحزان [الحسن] باكة [فخة] بيد الربي بنيامين بن سمحون وأخاه، و الربي يعقوب بن سعدون، فقبض عليهم، وأسرهم في بيعة الفاسيين بقيود الحديد، وأمرهم أن يعطوه مال المضطهد الربي مردخاي الشريقي الذي قتل وأحرق بمكناس. وسَجَنَ الشريف الأشخاص المذكورين طيلة يوم الخميس، وكل ليلة الجمعة، وكان يكثر من ضربهم. وأعطوا ماأعطوه باطلا، ولم يخل سبيلهم حتى اضطروا إلى الإعتراف أمام سجانيهم أن المال المذكورتحت أيديهم.

وفي بكرة يوم الغد الجمعة، جاء الغوي المذكور إلى القصبة، وأقفل أبوابها، وأرسل صناع الضررمن رجاله للقبض على أعضاء الطائفة، والحاخامات الموجودين هناك. وحين سمعتُ بذلك، هربت، وخبأت نفسي طول اليوم في إحدى الحفر الموجودة تحت أرض البيت. وقبض الشريف على كثير من الخاخامات، وعلى كثير من أعضاء الطائفة، وقطع بهم طريقا ملتويا حتى لا يشعر جيراننا بذلك، وسجن [المحتجزين] في البيعة المذكورة. وشرع في ضربهم ضربا مبرحا، وتعهد المحتجزون بتسديد المال المذكور. وأعطى الأشخاص المذكورون، قرابة ثلاثة آلاف مثقال، وتعهد الآخرون بدفع الباقي. وأمرهم الشريف بأن يسددوا كل شيء ليلة السبت. وتوعدهم بأن يصنع لهم دعوى مكتوبة إن حدث العكس.

وأوحى الرب إلى قلب الفاضلة ياقوت، زوجة الربي يوسف بن عطية المذكور، أن تذهب إلى القائد الغنيمي وتخبره بما صنع الشريف المذكور بنا، وجاء القائد المذكور، وقال للشريف:" ماهذا الصنيع ، وماهذه القسوة التي لا

يرضى بها الله". فأجابه الشريف بوقاحة، وأطلق في وجهه كلمات قبيحة تُنْبِيء بقلة حياء. ولما سمع القائد المذكور ذلك، غضب كثيرا ولعنه، وراح عند المسيء وقال له: "سيدي ماهذا الصنيع الذي يصنعه الشريف الصغير باليهود. إنه يَتُوق إلى قتل طائفة بأكملها. إذا كان الملك أمر بذلك، سلِّمَ أمرَهم لي ، وأنا آخذهم بالحسنى، وإذا، فأي ذنب اقترفوا حتى يقتلون؟". وأنزل الرب الرأفة في قلب الملك، وأمر القائد بتخليصهم من الأسر، وأمر بأن لا يجتمع الشريف بهم أبدا. وكذلك كان. خلصهم القائد الغنيمي، وأخذ المسيء المال الذي سبق أن أعطوا، وخرجنا من المخابيء التي ظلنا بها طيلة يوم الجمعة. ولم يتمكن أحد منا أن يُعِدَّ للسبت عُدَّته نتيجة لما كان من غضب كبير، وانشغال بال، وضوضاء وخوف في قلب كل الشعب، حتى أرسل الرب الخلاص، وبقينا بالقصبة منفيين، إثنان وعشرين شهرا مقابلة لحروف التوراة الإثنان والعشرون لكي تكفر ذنوبنا. ويطول بنا الزمن إذا قمت بتعداد ما قاصيناه من مِحَن . ولم أعدد إلا الأحزان التي تتعلق بالطائفة. كانوا يصرخون في الليل والنهار، حتى رُفِعَت صرختهم إلى الرب.

وذهب المسيء [أي مولاي اليزيد] لأخذ مدينة مراكش. وذهب، حتى إذا بلغ أبواب المدينة في نهاية شهر شباط عام 5552 لبدء الخليقة ، أبى أهلها فتح الباب له، لأن الملك مولاي هشام لم يكن هناك. ففزعوا منه، وسخروا منه، وادعوا إن الملك المذكور [أي مولاي هشام] يحميهم وإنه [أي اليزيد] لا يقوى على إيذائهم.

وجاء أحد الحراس وفتح له الباب المفضي إلى حي اليهود. وتسلل من هناك ليلا، وقتل كل الحراس، وقبل الفجر أرسل كل جنوده لسلب ونهب طائفة يهود مراكش. وبذنوبنا الكثيرة نزلوا على المدينة، وأَهلُها نِيَام شيوخاً ونساءً وأطفالًا. وأكثروا فيهم النهب والسلب، وقتلوا منهم، واستباحوا وأسروا نساء الكوهنيم. وكانوا يستحيون النساء أمام أزواجهن فإذا قضى هذا أربه

سقط آخر. وقُتِل عَالِمٌ، وأُسرت كثير من النساء والعذارى. واستمر النهب ثلاثة أيام. وأخذوا حتى أبواب البيوت. وصار[الحي] كالغمر الذي لا سمك فيه. واجتمعت كل الطائفة، رجالا ونساء وأطفالا في المقبرة. وظلوا معرضين للجوع والعطش في أيام الخريف المذكور ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث أرسل إليهم العفو. وقطع على المسلمين الساكنين بالمدينة [مراكش] مجموعة من القرارات، وقتل بعض وجهاء المدينة. وبعد ذلك تصرف بدهاء، وجمع كل المسلمين في الجامع الكبير لتجديد البيعة هناك. وحين اجتمعوا، قال لهم: "السيف، السيف" وحاصرهم بجنوده، وقتلوا منهم كثيرا، وسمعنا أن كل الدروب والأسواق كانت مليئة بجثث الموتى. وذهبوا إليه بالمحاضر" [بأطفال الكتاتيب القرآنية] يطلبون العفو ولم يستجب لهم.

وبعد ذلك، خرج لمحاربة أخيه مولاي هشام المذكور يوم الإثنين، وإنتصر عليه في الحرب مع العلم أنه لم يكن له إلا جنود قليلون مقابل جند أخيه المذكور. وقتل اليزيدالكثيرمن جنود أخيه لأنه كان فارسا شديدا في الحرب. وقالوا أنه قتل في تلك الحرب مالاعَدَّ له ، ووصل إلى محلة أخيه وخزانة ماله، ولولا أن [مولاي هشام] سارع إلى الهرب تاركا كل أمتعته، لقبض عليه حيا.

وفي الغد خرج لمتابعة الحرب، وانتصر وقتل الكثير. لكن الرب نظر إلى أحزان شعبه بني إسرائيل، فخرج أحد المسلمين من وسط الملحمة، وصوب نحوه (مكوحلة)، واستقرت لمولاي يزيد رصاصة في بطنه. ربط مولاي اليزيد جرحه وعاد إلى الحرب، وكان معه ثلاثة من أتباعه "بزيْرزْبَانات"، كانوا يعبئونها له، وهو يرمي بها دون أن يخطيء رميته. وكانت تردي المصابين بها جثثا هامدة.

وفي المساء، مرض [مولاي اليزيد] كثيرا، وأمرهم أن ينقلوه إلى المدينة، وأرسل في طلب وجهائها، وكانوا زهاء مائة فرد، ففقأ عيونهم بالصفافد ، وقتلهم بعد ذلك. وأمر كاتبه أن يُرسل إلى فاس البالي أمرا يتم بموجبه القبض على الوجهاء الوارد اسمهم في الرسالة ثم يقتلون. وكذلك فعل بوجهاء مكناس؛

كتب إليهم أن يقبضوا على وجهائهم ويقتلونهم، ويقتلون اليهود الذين يخرجون من المدينة. وأرسل إلى الصويرة، يأمر بقتل كثير من الأنفس، لأنه رأى أن مالك المُلك قد قرَّبَ أجله. ولم يترك بعده بركة.

وفي مساء يوم الثلاثاء، مات دون مراد ودون رغبة، ولم يترك ناحية إلا ولطخها بالخطيئة، وكانت له مائة إمرأة. كان يدخل بهن، هذه بعد تلك، أخبرني بذلك من رأى[ذلك بعينه]. وكان ينتزع النساء من أزواجهن، إما سرا أو علانية.

وكان في مضجعه يكثر من السُّكْر، وكان يشرب الخمر بحضورهم" [سفر دنيالالإصحاح الخامس، 2]، ويلبس ناعم اللباس كالأتراك. وتبارك الرب الذي ينتقم لنا من ظلامنا، فيجازي كل أعداء أنفسنا تبارك الرب المخلص.

وعلى الفور، قام وجهاء المملكة يبطلون القرارات [التي كان يبعث بها اليزيد]، فبعثوا الرسل ممن يتخطون الصعاب، بالرسائل، قبل أن تنفذ الرسائل الأولى، وخلص الرب أبناءه من قرارات[اليزيد] ومن نواياه ضد اليهود. وحينما كان متوجها إلى مراكش، قال لقواده في الطريق: "تعلمون أنه في شهر آذار القادم سيحل بوريم اليهود، وقالوا: إنهم يحيون هذا العيد تخليدا لهَمَّان الذي كان يريد القضاء عليهم، لكنه هو الذي قتل"، وأقسم اليزيد إنه حينما يعود من مراكش سيفعل بطائفة فاس فعل هامان. تبارك الذي يُفشل خطط [الأشرار].

وورد خبر وفاة المسيء إلى فاس في نهاية شهر شباط، واجتمع البربر والوداية والعبيد الذين قدموا من مكناس إلى فاس البالي، وقالوا: " اختاروا من نُبايع من أبناء الملك سمت جلالته." وأجمعوا، وقالوا بصوت واحد كأنه من السماء، إنهم يبايعون سي مولاي سليمان سمت جلالته، بن الملك سيدي محمد بن عبد الله. وهو رجل عالم، ولم تكن له نُزُوعات التَّكَبُّرِ كإخوته من أبناء الملك؛ لأنه كان يدرس فقط. ولم يُرد المُلْكَ في البداية حتى حَمَلَه القادة ورؤساء

القبائل على ذلك، فقبل. وحين مَلَكَ تخلى عن كل الضرائب والرسوم التي كانت على عهد أبيه، وعلى عهد المسيء، لأنها كانت خارجة عن الشرع.

وفي الغد ذهب إليه أعضاء الطائفة بهدية، ففرح بهم كثيرا وقال لهم: "سأصنع بعون الله ما تريدون" وكان ذلك في الثامن عشر من شهر آذار.

ويوم السبت المقدس انتقل إلى مكناس لتجديد البيعة، وطلب من ثلاثة أعضاء من الطائفة، أن يرافقوه إلى هناك. ووعد أن يعمل برغبتهم. وكذلك صنعوا، ذهب النجيد الربي يوسف عطية والربي داوود الخريف، وبنيامين بن سمحون (إلى مكناس) ومكثوا هناك إلى اليوم الثاني من الفصح، وجاؤوا وفي أيديهم رسائل إلى قادة المدينة تقضي بعودتنا إلى حينا.

وفي الغد، اليوم الأول من أيام العيد، أرسل لنا القائد عياد (عزُّوالله) وكل الوجهاء، آمرين إيانا أن ننتقل من القصبة إلى حينا. وعلى الفور جاء بعض الحمارين والحمالين، وذهبنا فرحين مرحين، واجتمعنا في حينا وسبحنا للرب، ووجدنا كل البيوت خربة، لأن الوداية حين سمعوا إنه سمح لنا بالعودة إلى المدينة، اجتمعوا بها صغارا وكبارا في الليلة التالية للعيد، وأخذوا كل السواري والأبواب والصناديق وكل ما يسمى خشبا، ولم يبق إلا بعض السواري، وفي اليوم الموالي من أيام العيد جاء بعض جيراننا وطلبوا منا أن نعطيهم بعض [الألواح] الباقية، وكان علينا إعطاءها لهم.

وكل واحد كان يتفاوض مع أصحاب الملك، فكان هذا يعطي عشرة مثاقيل، والآخر يعطي عشرين مثقالا، والآخر يعطي ثلاثين وخمسين مثقالا، واستخلص الملاكون مالا كثيرا، لأن المُلْكَ حتى الآن لم يكن قد استقر في يد [مولاي سليمان] سمت جلالته. وكان على كل صاحب بيت أن يعطي خمسة مثاقيل لتسديد مصاريف انتقال الطائفة الى المدينة.

وشرعنا بعد العيد في بناء الثغور التي حدثت بالمدينة، نغلق الاماكن المهدمة، نبتاع السواري والألواح والأبواب. وكان أعضاء الطائفة منشغلون

انشغالا كبيرا. كان كل فرد يصلح بيته ليسكن. وذهبنا إلى القاضي سي التاودي عزو الله، والتمسنا منه أن يكتب إلى الملك، سمت جلالته، بشأن الجامع التي بنى المسيء في حينا. وأفتى القاضي بحِرْمَة استعمال هذا البناء، لأن البَنَّائين والعمال كان قد تم آداء أجورهم من عائدات ماء الحياة التي أُخذت من اليهود، كما أنه بُنِيَ على أرض مغصوبة. وعلى الفور أمر الملك، سمت جلالته، بهدم الجامع، فَهُدِّمَ، لا عاد إلى الإرتفاع أبدا، ولن أنته إذا وصفت عظمة هذا البيت وسواريه العظيمة المزينة برخام أخضر وأحمر. وأخذوا الأحجار والتراب لبناء حَمَّامْ سْخُون في مكان نجس، وكان المسلمون ينظرون إلينا.

وتمرد مولاي سلامة أخو الملك، سمت جلالته. حيث التجأ إلى قبيلة الحياينة، وتمردوا معه، وأرسل إليهم الملك بالعفو شرط أن يرجعوا. ولما امتنعوا، أرسل الملك إلى كل مملكته فاجتمع له جيش عرمرم، وقاد الملك جيشه وتوجه نحو القبيلة المذكورة. وأعانه الله، وأنزل بهم هزيمة عظيمة. وفر مولاي سلامة المذكور. وقُتل من [المتمردين] الكثير، وأدعنوا كثيرا، فنصب عليهم مولاي سليمان قائدا وألزمهم بإعطائه مائة ككار. وسددوا كل ذلك للقائد المذكور.

وبعد ذلك تمردت قبيلة آيت زمور البربرية فجمع الملك القبائل وذهب إليهم فقاتلهم وأفزعهم، حتى خضعوا له، وجاءوا معه، وألزموا أنفسهم بحراسة الطرق. وبعد ذلك قبض [الملك] على قادة تطوان بسبب تمكينهم مولاي سلامة من مال المسيء [مولاي اليزيد]. وأرسل القبائل، وأعادوا له [كل المال]. وجاءت كثير من القبائل من الأرض البعيدة، وبايعته وكان ذلك مما هيأه الله له. وبعد ذلك أمر الملك بهدم الحصن الذي بناه المسيء [مولاي اليزيد] قبالة مقبرتنا والذي كان يُضايقنا. وكان من عادة اليزيد في عهد أبيه أن يصعد الى الحصن المذكور ويرى النساء تبكي على قبور رجالها، ولهذا هدمها. وكان اليزيد قد أرسل إلينا مرة أخرى يأمرنا بإعطائه ككارا "فضة" وإلا أخرج الموتى من القبور. وكذلك صنع. وحين شرع جنوده في هدم بعض القبور، قام اليهود حين

علموا بذلك وجمعوا المال المذكور وأعطوه إياه. وكم مرة سجن الحاخامات بقيود الحديد لتعطيه الطائفة مالا فداء لهم. وكان يصنع لهم الشر الذي لا عد له، وكان مصيبة على بني إسرائيل وعلى المسلمين. تبارك مفني الأشرار.

وبعد ذلك عاد كل أعضاء الطائفة والحاخامات من أرض منفاهم ومن الجبال التي كانوا تشتتوا فيها. وبنينا البيع التي كانت هدمت تماما، وعادوا إلى لبس الثياب الخضراء. وقام أحد القضاة واشتكاهم للملك سمت جلالته على ذلك: فغضب الملك وقال له: مالك تتحدث في هذا الشأن إنما أصنع ما كان يصنعه أبي رحمه الله." وامتلأ الحي [الملاح] بالسكان، لأن بعضهم جاء من مدن أخرى وقبائل أخرى، وتبارك الرب الذي لم يتركنا دون خلاص.

ورغم ما هو مكتوب في " المخزوريم " من عدم مباركة الملك، فإننا نبارك هذا الملك يوم السبت وأيام العيد في البيع، لأنه يستحق المباركة من سيد المُلك.

وخفف[مولي سليمان] حتى الضريبة التي كانت تؤديها الطائفة لوالده، وأمرهم أن يعطوا ضريبة قدرها ألف أوقية كل شهر، متضمنة كل الضرائب حتى الجزية، لأنه كان يحكم حسب الشريعة سواء تعلق الأمر بالمسلمين أوالإسرائليين.

ولأختم كما بدأت. سوف أعدد بعض النوائب التي طالتنا حينما كنا في القصبة. لم نكن نستطيع دفن الموتى لأننا لم نجد حفار قبور، لأن الطريق كانت بعيدة من القصبة الى الجيسة حيث المقبرة التي ندفن فيها القتلى خارج المدينة. وكنا نأخذ ساريتين نصلهما بحبال، ونوثق الميت عليها. ثم يحمله أربعة رجال على أكتافهم ويذهبون به راكضين. وكنا نصاحب الميت إلى باب [القصبة]. وكان اليهود يصحبون معهم قائد الباب خوفا من العدو.

وماذا أقول عن مصيبة [الغطس] " طيبة " النساء، اللواتي كن يذهبن للغطس في النهر، وكان المسلمون يجتمعون لرؤية النساء عاريات، ولما رأيت هذا قمت وجمعت [بعض المتطوعين] وبنيت صهريجا للماء يملأ بماء المطر ولما قل

الماء، كنا نقوم بنقل الماء، وكُنَّ يغتسلن به. وكنا ننفخ في القرن في كل عشية السبت، لأن المكان كان عاليا جدا وكان يبدو مُضاءا وإن غابت الشمس، وكان الناس يستمرون في السقاء من ماء النهر. وكنا نقف في مدخل الباب لنمنع الشعب من الاستمرار في سقاية الماء. وكانت نوائب كثيرة حتى أراحنا الرب منها حين أرجعنا إلى حينا. التسبحات للرب.

كتاب القبالة
للربي إبراهيم بن سليمان طروتيال

قال إبراهيم بن الحبر الأجل الربي سليمان طروتيال:

ألف المعلم الربي إبراهيم بن داود طيب الله ذكراه كتاب القبالة سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وأربعة آلاف لبدء الخليقة. وعرض فيه أجيال العلماء الذين عاشوا بعد رجال البعية الكبرى إلى عهد الربي يوسف اللاوي بن ميغاش تلميذ الربي الفاسي أستاذ موسى بن ميمون. وقد عزمت على إتمام هذا العمل بدءا من يوم وفاة المعلم إبراهيم بن داود طيب الرب ذكراه وانتهاء بيومنا هذا لنبين للأجيال القادمة أن التعاليم قد تُحمِلت دون انقطاع من الأستاذ إلى التلميذ من يوم تسلمها بسيناء إلى زمن الأستاذ العادل المخلص.

وقد رأيت أن أقسم هذا الكتاب إلى كتب ثلاثة: فأذكر في الكتاب الأول العلماء الذين عاشوا زمن المعلم ولم يأت على ذكرهم في كتابه، وأذكر في الكتاب الثاني العلماء الذين عاشوا بعد وفاة المعلم طيب الرب ذكراه إلى زمن الربي كمبانتون طاب ذِكْرُه؛ قبس المشتتين الذين تنهل كل إسرائيل من معارفه إلى الآن. وسأذكر في الكتاب الثالث الملوك الذين حكموا أرض إسبانيا إلى عهد الملك فيرناندو الكاثوليكي، مُحِقَ اسمهم وذكرهم، وما كان من أمر صراعه مع مملكة غرناطة، وسأتحدث عن زمن طردنا من الأندلس وكل المصائب والمحن التي جرت في مملكة فرناندو وفي البرتغال على عهد الملك إيمانويل والتي تسببت فيها دسائس المرتدين من بني إسرائيل. وسأورد ما يسر الرب من حسنات للناجين من بني إسرائيل في مملكة فاس، والعلماء الذين تلقوا التعاليم عن الربي إسحاق كريانتون طيب الرب ذكراه، وأذكر جزءا من تاريخ ملوك فاس إلى عهد الملك مولاي محمد الشيخ، التقي بين التقاة، الذي احتضن اليهود المهجرين من الأندلس وعامل شعب إسرائيل بالحسنى إلى يوم وفاته. وسأورد في هذا الكتاب كذلك ما حدث بين سنتي 5270 و5285 لبدء

الخليقة مسجلا العزاءات والبشارات التي تعلن قرب مجئ المسيح، فلتكن المشيئة كذلك.

الكتاب الأول

توفي العالم الحبر يعقوب بن يقار والعالم الحبر إسحاق اللاوي أستاذيْ الربي سليمان إسحاق سنة 4830 لبدء الخليقة. ومات في نفس السنة كل من الربي يهودا بن برزلاي البرشلوني مؤلف كتاب "الشعائر"، والربي جرسون قبسُ المُشَتتين، والربي سليمان بن جبيرول الشاعر المشهور.

وألف الربي يونا البرشلوني كتاب "هأروخ" ومات عام 4876 لبدء الخليقة، وألف الربي زراياس اللاوي كتاب النور سنة 4914 لبدء الخليقة.

وكتب الربي إبراهيم بن عزرا، شارح الشريعة في أربعة وعشرين كتابا، أعمالا مهمة في علم الفلك وعلوم أخرى. وبالإضافة إلى معرفيته العلمية والشرعية كان شاعرا مجيدا. ومن بين وصايا الربي موسى بن ميمون طيب الرب ذكراه لابنه:"لا تشتغل إلا بقراءة كتب الربي إبراهيم بن عزرا"، وكان هذا الأخير من أصل رفيع، وقد جرى الحديث عند أهله أنهم من سكان أورشليم، عجل الرب ببنائها ورمها في أيامنا. مات إبراهيم بن عزرا في كَلَهُرة سنة 4925 لبد الخليقة(1165م).

وألف حبرنا تَـم حفيد الربي سليمان إسحاق كتاب "سفر هيشار" وكان مشاركا وذا باع في جميع العلوم. اشتهر في بلاط صديقه ملك فرنسا، وكان سببا في حسنات كثيرة لبني إسرائيل. مات في مدينة راميرو سنة 4930 لبدء الخليقة (1170م).

وفي سنة 4930 لبدء الخليقة، توفي الربي السموأل بن مير أخو الربي تَم استاذ حبرنا الربي سليمان بن إسحاق طيب الرب ذكراه. وكتب الحبر المذكور كتبا كثيرة مهمة. ومات سنة 4935 لبد الخليقة الأستاذ الكبير الربي إفرايم

الألماني (إفرايم بن إسحاق دي راتسبونا) أستاذ حبرنا جويل صهر ابن يرزي، والمعلم الكبير سيادة أستاذنا الحبر الأجل إسحاق بار السموأل ابن أخت حبرنا تَم مؤلف "التوسفوت" الذي تعلم ودرس في الأكاديمية، وشهد له الأحبار الفرنسيون أنه تعلم على يديه ستون حبرا، وكل واحد منهم كان يستمع إلى "الهلاخا" التي كان يدرسها، وكان يحفظ بالإضافة إلى ذلك "مسكيتة" ويستظهرها.

وفي سنة 4935 لبدء الخليقة، توفي حبرنا سمسون مؤلف كتاب "الطلاق" وكان تلميذا متميزا لدى الربي إسحاق مؤلف كتاب "التوسفوت". وتوفي في نفس السنة الربي يهوذا اللاوي بن السموأل والشاعر والمعلم الربي إسحاق هدربال، وفي نفس السنة ألف الربي موسى بن ميمون كتاب "مشنه توراه" وتلقى الربي يهوذا حسيد التعاليم من الربي إسحاق مؤلف "التوسفوت".

وتوفي المعلم الصالح الربي إبراهيم اللاوي بن داود بن أخت الربي باروخ بن الربي إسحاق بن باروخ بن البالية على قُدس الرب بطليطلة. ألف كتاب القبالة المذكور وكتب عن أصول الاعتقاد كتاب "العقيدة الرفيعة"، وكتب في علم الفلك. مات موحدا سنة 4940 لبدء الخليقة (1180م).

الكتاب الثاني

ألف الربي إسحاق بن أبي ماري كتابا عنوانه "بعل هعتور" سنة 4941 لبدء الخليقة (1181م).

وفي سنة 4951 لبدء الخليقة توفي الأستاذ الربي إبراهيم بن داود وألف هوامش نقدية على كتاب الربي موسى بن ميمون، وكان طيب الرب ذكراه يقول:" ما غلبني أحد إلا كاتب كتاب". وروى الربي يوشع بن شعيب عن فنحاس أنه سمع أن النبي إلياس ظهر للربي إبراهيم.

وألف الربي باروخ تلميذ حبرنا تَم والربي إسحاق بن السموأل مؤلف التوسيفوت كتاب "سفر هترومāه" ومات سنة 4952 لبدء الخليقة (1192م).

وكان أكبر النجوم، أستاذنا ومعلمنا الربي موسى بن ميمون، شرح الشريعة في إسرائيل أكثر من كل الكاؤونيم الذين سبقوه، وكان سببا في كثير من الحسنات لبني إسرائيل. أنتشرت كتبه من المشرق إلى المغرب وكان له أتباع في كل البلدان. وكان مقدما مقربا عند ملك مصر وعند خدامه، جرت شهرته في الكل العالم، وبالإضافة إلى معرفته بالشريعة كان عارفا بالفلسفة الإغريقية مُجيدا لها، عارفا بفن الطب والفلك كما يظهر ذلك في الكتب التي ألف. كان غنيا حدا، مات بمصر سنة 4985 لبدء الخليقة.

وفي سنة 4985 لبدء الخليقة مات العالم الحبر إبراهيم بن إسحاق المعروف بأبتدين دي لونيل النريوني، والربي يوسف البلات والربي إليعازر بن مراج وحبرنا تم دي أورليانس والربي هارون دي لونيل. وقام الكبير الربي موسى بن نحمان بالتعليق على الشريعة، وألف روايات متعلقة بالتلمود، كان عالما عارفا بكل العلوم، نال حظوة كبيرة في بلاط ملك أراغون، وكانت له مجادلة مهمة مع الفريلي بابلو في حضرة الملك والنبلاء، وتفوق عليه بردود قوية وظاهرة، حدث ذلك سنة 4971 لبدء الخليقة (1211م)، درس على الربي إليعازر التعاليم العملية الأخلاقية والتعاليم النظرية، وبعد ذلك ذهب إلى أورشليم ومات هناك سنة 4990 لبدء الخليقة (1230م).

وألف الربي موسى دي كوثو كتابا هاما عنوانه "سفر متسفوت كادول" (كتاب التعاليم الكبير) كان ذلك سنة4966 لبدء الخليقة. حضر دروس الربي موسى بن ميمون، كان عارفا بالتلمود.

وفي سنة 5005 لبدء الخليقة مات حبرنا يوئيل هعزرا تلميذ الربي إفرايم دو رينسبورغ، والربي عزرا أستاذ الربي موسى بن نحمان. وشرح الملعلم أمير الأمراء اللاوي الربي مير اللاوي من مدينة بورغوس الشريعة في طليطلة. كان

عالما متميزا قام بالتعليق على التوراة بذكاء شديد ومات بطليطلة في عيد الفصح من سنة 5007 لبدء الخليقة (1247م).

ومات بطليطلة كذلك الربي يوناس دي خرونة تلميذ الربي موسى بن نحمان والربي مير الكوهن النريوني الذي درس مع الربي موسى بن نحمان.

ومات الربي إبراهيم بن الربي جويل المعروف بأبي عزرا سنة 5024 لبدء الخليقة (1264م).

وكان الحبر نسيم مؤلف التعاليم وكاتب الهوامش على الاستاذ الفاسي تلميذا للربي موسى بن نحمان، ومات سنة 5024 لبدء الخليقة.

وكتب الربي سليمان بن إيلي من مدينة صوريا تلميذ الحبر يوناس "هوامش تاريخية للتلمود" حسب ما تلقاه من معلمه، كان ذلك سنة 5024 لبدء الخليقة. ويسمى عامة "تلميذ حبرنا يوناس". ومات التقي المقدس الحبر الأجل يحييل بن أشير الذي ظهر للعيان بعد موته في بيته ومدرسته ورآه جميع الشعب. وهذا ما وجدته مكتوبا بخط الحبر يودا بن أشير:" بعد أن كتب علينا الرب تبارك وتعالة الجلاء عن طليطلة المدينة الشهيرة، نفي اليهود من فرنسا. ولما قرر الناس طردنا من أرضنا بغير سبب، خرجنا من هناك حتى يعلم خلفنا استقامة آبائنا وحتى يخجلوا في قرارات أنفسهم إذا لم يتبعوا سبيلهم وحتى يعملوا على الاستمرار في صنيع آبائهم. ولما كنت خرجت إلى الشتات صغيرا لم أتمكن من الوقوف على حقيقة الأمر وعدالة قضية سلفي إلا ما سمعته من والدي طيب الرب ذكراه مما أسجله هنا.

ولد جدي الربي يحيال بن أشير سنة 4970 لبدء الخليقة (1210م)، وفي سن العاشرة كان له صديق وفي هو الربي سليمان الكوهن، واتفقا على أن يشارك كل واحد منهما في عمل الآخر في التعاليم كما في أمور أخرى، واستمرا على عهدهما طوال حياتهما. كانا تقيين، ورجلين فاعلين في زمانهما، وفي يوم التكفير انطفأ لجدي القبس الذي كان له بالبيعة كما هي العادة

الألمانية القاضية بإشعال قبس لكل رجل مساء يوم الغفران مع الحرص على أن يظل مشتعلا نهارا وليلا. ومات جدي في فترة عيد المظال، وأقيمت له جنازة حضرها الناس من الأماكن المجاورة . ومن عادة الألمان الذهاب إلى المقبرة ووضع التابوت على حجر. حين اقترب الربي سليمان الكوهن من التابوت مسافة أربعة أذرع، وقال بصوت مرتفع أمام المجتمعين:" أنا أقول لفلان أن يتذكر العهد الذي قطعه معي" تبسم جدي داخل التابوت ورآه أغلب الحاضرين.

وعلمت من والدي وسيدي الربي أشير، ومن جدتي طيب الله ذكراها أنهما رأيا ذلك. وحدث في يوم من الأيام أن الربي سليمان الكوهن كان يدرس في أكاديميته، فرأى جدي طيب الله ذكراه جالسا بجانبه. وسأله الربي سليمان متعجبا عن حاله، فأجابه بأنه في أحسن حال، وأخبره بأن له هو أيضا عرشا بجانبه. حينئذ سأله الربي سليمان عن إمكانية ظهوره للناس فأجاب قائلا:" يمكنك أ،ن تذهب إلى بيتي كما في الشابق، لا أريد أن يقولوا:" كم تمجد هذا بين الماجدين". وحدث كذلك بعد ستة أشهر أن ظهر لزوجته وقال لها:" أسرعي، خذي أبناءك وبناتك وأخرجيهم من هذا المكان، لأنهم غدا سيذبحون اليهود الموجودين هنا". فقامت وصنعت ما طلبه منها بسرعة رجاء إنقاذ أقربائها، وماتت بعد أن خلصت من هناك سيدي ووالدي الربي أشير طيب الرب ذكراه والربي موسى دي روتينبورغ أستاذ أبي الذي درس كذلك على يد أخيه الربي حييم. وكان لهم أخ آخر يدعى الربي إليعازر الذي مات في السابعة والعشرين من عمره. ويروى عنه أنه كان متمكنا من الشريعة مثل الربي حاييم. وكان لهم ست أخوات

خرج الجميع من هناك مساء السبت كما ذكرنا، ومات الربي يحيال أبو الربي أشير سنة 5024 لبدء الخليقة (1264م).

وألف الربي إسحاق نريغودو (الأنوف) صهر الربي يحيال، وكان رجلا تقيا،كتاب "التعاليم الصغير" المسمى كذلك "أعمدة الشتات" كان ذلك سنة 5030 لبدء الخليقة (1270م).

وألف العالم الشهير والقبالي موسى الليوني أربعا وعشرين كتابا من بينها كتاب "سفر همزقال"، "مشكان هعدوت"،"أور زروراه"، "سفر هرمون"، "شعري صدق" وكتب أخرى، مات سنة 5051 لبدء الخليقة (1291م).

وألف الربي سليمان بن أدرت مؤلف " ترات هبيت" كتبا أخرى عدا "الأسئلة والأجوبة" التي كانوا يسألونه ويستفتونه من كل البلدان وكان الربي اللاوي بن حبيب الذي مات شهيدا، يجمع الناس المشتتين هنا وهناك، ويبني لهم المساكن. أثابه الله.

وألف الربي حاييم بن السموأل بن داود من مدينة تطيلة، وتلميذ الربي السموأل بن أدرت كتبا منها "زرور هحييم" و "زرور هكسف"، كان ذلك سنة 5055 لبدء الخليقة.

ومات الربي بيريز تلميذ الربي يحيال الباريسي سنة5055 لبدء الخليقة.

ومات الربي مير دي روتينبورغ أستاذ الربي أشير طيب الله ذكراه سنة 5061 لبدء الخليقة؛ مات في السجن.

وكان طرد اليهود من فرنسا سنة 5066 لبدء الخليقة (1306م)، في شهر آب. وكان الربي المعلم إسحاق بن شار خسد أبو الربي مكير مؤلف كتاب "سفر عبقة هروكيل" أحد المطرودين وكان يدعى "ابن شار خسد" لأن أباءه كانوا أتقياء وعادلين. وكان أبوه الربي عطاء الله عارفا بالشريعة والتطبيقات الأخلاقية، كان يغسل وجهه ورجليه يوم السبت ويضع على رأسه رداء أبيض كما لو كان ملاكا لرب الجيوش. وحدث في مساء يوم السبت أن صنع مثلما كان يصنع في باقي أيام السبت وكان يحمل في يده خاتما كما هي عادة الملوك والأمراء. كان غنيا وكان الخاتم مزينا بحجرة كريمة. كانت له في بيته تينة

يعلق عليها ذلك الخاتم حين يهم بغسل وجهه ويديه ورجليه، وحدث أن نسي الخاتم. وفي اليوم الموالي تذكر الخاتم فبحث عنه فلم يجده، ولم يذكر أنه علقه على شجرة التين. استشاط غضبا وقال متسائلا:" هل مسحت يدي حينما أخذته؟". يبست ولم توت فاكهة. وبعد انصرام ثلاثة أعوام أرسل يده يريد اقتلاعها كما تحدد ذلك الشريعة، لأن الشجرة لم تعد توتي فاكهة،وشره الخدم في قطعها عثروا على الخاتم ونسوا قطع الشجرة، وعلى الفور أنبتت الشجرة زهورها وأنتجت فاكهتها كما في سابق عهدها، ولهذا لقبوه نطنيال الذي أساء إلى الشجرة.

وانتقل الربي مكائيل الملاك مؤلف المسائل الفلسفية بالروح إلى السماوات للسؤال عن شكوكه. وسمي كذلك لأنه أغلق عليه غرفته ثلاثة أيام وأمر بأن لا يفتح عليه خدره. ورآه عبيده من خلف الباب ممددا كما لو كان حجرة صماء. وبعد انصرام ثلاثة أيام عاد إلى الحركة ووقف ولهذا سمي بمكائيل الملاك. وهناك من يشهد بأن أباه من نسل بيت داود و أن أمه من نسل كاهانا المذكور في التلمود.

وأسس الربي إسحاق بن شار خسد مدرسة في طليطلة داخل مدرسة الربي إبراهيم النقاوة. واستمر في ذلك اثنين وأربعين سنة فلما أتي مع المطرودين من فرنسا أتي به الأمير الربي إبراهيم بن شوشان إلى طليطلة، وغذاه وتكلف بمؤونته طول حياته. وكان كذلك في أكاديمية الربي أشير. وبعد وفاة الربي إبراهيم شوشان صار صديقا للربي إبراهيم بار داود بن شوشان الذي ألف كتبا عن التلمود عنونها بـ"أليوت". وكان صديقا للربي يوذا بن أشير والربي العالم مير بن شوشان والربي زيزة بن شوشان. وكانت كل هذه العائلة مجتمعة، وعالها طوال حياته حتى مات بالكاعون سنة 5070 لبدء الخليقة.

ومات الربي سليمان بن الربي إبراهيم وتلميذ الربي يوناس ببرشلونة سنة 5070 لبدء الخليقة (1313م).

ومات الربي حاييم أخو وأستاذ الربي أشير سنة 5074 لبدء الخليقة.

ومات الربي سانسون بن صدوق مؤلف كتاب "الردود: وتلميذ الربي مير دي روتينبورغ سنة 5072 (1313م)..

ومات الربي باهية بن أشير شارح الشريعة وتلميذ الربي سليمان بن أدرت سنة 5051 لبدء الخليقة.

وشرح الربيان السموأل بن أميل وداود الكوهن الشريعة بطليطلة حتى أيقظ الرب عيون بني إسرائيل و أجج الروح في الأمير الكبير أستاذنا وسيدنا الربي أشير بار يحيال الذي أنار عيون كل بني إسرائيل في الشرق والغرب وأضاء دياجي الاحتياج والبساطة العظمى. درس أسس الشريعة وشرح غوامض التوراة ومبادئها العالمية وخصوصياتها، وشرح أوامر المشنا الستة.ولم ير على وجه الأرض رجل مثله، ولهذا سمي "الرب أشير" جازاه الله على عمله، مات بطليطلة سنة 5088 لبدء الخليقة (1328م). وكان من بين تلاميذه المشهورين" الربي يشخار بار يقوتييل اللاوي الذي اقتفى أثره من ألمانيا ودرس عليه ومات سنة 5092 لبدء الخليقة والف "بعل هترموت"، ومن بينهم الربي خيرونمو البروفنسي الذي أتى للتتلمذ على يد الربي أشير، ألف كتاب آدم وحواء وكتاب " مكريم"، وهي كتب جد مشهورة. مات سنة 5094 لبدء الخليقة. ومن كبار تلامذة الربي أشير، الربي إسحاق إسرائيل مؤلف "يصود عولام" أهداه للربي أشير. وكان الربي يسحاق إسرائيل عارفا بكل العلوم وامتاز بتعليم اللغة العربية، شرح أربعا وعشرين كتابا. ومن بين تلامذة الربي أشير كذلك أبناءه الثلاثة: الربي يحيال الذي توفي بعد سنين قليلة، والربي يوذا بن أشير الذي خلف أباه في الأستاذية، والربي يعقوب مؤلف كتاب "بعل هتوريم" وسار على نهجه كل يهود مملكة إسبانيا، كما اتبعه الناجون الأحرار في مملكة فاس حتى يأتي المخلص.

وشرح الربي داود أبو درهم تلميذ الربي يعقوب "الصلوات" بإشبيلية سنة 5100 لبدء الخليقة.

ومات الربي يوذا بن أشير بطليطلة سنة 5109 لبدء الخليقة. وكان الربي اللاوي بن جرسون المعروف بالمعلم ليون شارح الشريعة في أربع وعشرين كتابا عارفا بالفلسفة الأغريقية وفي باقي العلوم، مات في الحج سنة 5150 لبدء الخليقة (1391م).

وألف الربي ميناحيم بن سراج بن الصالح الربي هارون الذي أتى زمن الطرد من فرنسا، كتاب "زاد الطريق" على شرف الدون السموأل أبرابانيل الذي بدل اسمه بخوان دي شبيا (خوان الإشبيلي)، وكان تلميذا للربي يوذا بن اشير وللربي يوشع بن شعيب شارح الشريعة. مات بطليطلة سنة 5134 لبدء الخليقة.

وكان الربي إسحاق بن شيشت تلميذا للربي نسيم. كما كان من تلاميذ الربي حسداي كريسكاس والربي شمعون دوران. وكان الربي إسحاق بن شيشت المذكور عارفا بالتلمود ألف في الأشئلة والأجوبة (الفتاوى) هاجر إلى مدينة الجزائر انطلاقا من ميورقة، كما ألف هو والربي دوران رسائل عديدة. ولما مات الربي سليمان خلفه في الاستاذية الربي سماخ، وحين مات هذا الأخير خلفه الربي شمعون سماخ. كل هؤلاء كانوا علماء مشهورين بالجزائر. ومات سنة 5270 لبدء الخليقة الربي شمعون سماخ، وكان من بين تلاميذه الربي حسداي والربي متاتياس هيزهاري والربي يوسف ألبو مؤلف كتاب "سفر هعقريم" (كتاب الأسس).

أما الأستاذ الكبير الربي إسحاق كامبانتون فقد درس على يد أبيه المذكور شرح التوراة لبني إسرائيل. وكان له تلاميذ كثيرون. وكان من أشهرهم والدي الربي سليمان طيب الله ذكراه الذي استعمل تعاليمه خلال أكثر من عشرين سنة وكان عارفا كبيرا بالتلمود.

وكان من بينهم الربي إسحاق دي ليون. كان عارفا كبيرا بكل العلوم كون كثيرا من الطلبة كان من أشهرهم الصالح التام الاستاذ الربي شمعون مايمي الذي مات شهيدا بالبرتغال. كما كان من بينهم الربي إسحاق

ابواب، والربي موسى الفرنسي والربي شم طوب بن شم طوب والاستاذ الكبير "المفضل على أصدقائه" الربي السموأل البلنسي طيب الله ذكراه، الذي كان له تلاميذ كثيرون من بينهم الربي يوسف عزيل والربي موسى حليوة.

ودرس على الربي إسحاق كامبانتون في السنوات الأولى تلاميذ آخرون من غير المذكورين أعلاه، ودرس عليه في آخر حياته الربي موسى البلنسي وآخرون من مشاهير العلماء. وكان الأستاذ الصالح التام شم طوب ليرما واحدا من بين أشهر تلاميذ الربي إسحاق أبواب. وبقي هو وأستاذي الربي العالم يعقوب لوال والربي إبراهيم سبا في السجن في عاصمة البرتغال، بعد أن توجه اليهود إلى فاس مطرودين. وبعذ ذلك وصلوا إلى أصيلة بسفينة مهترئة، وكان أعداؤهم يظنون أنهم سيغرقون في البحر، لكن الرب صنع معجزة معهم وتمكنوا من الرسو بمدينة أصيلة برحمة الرب ومن دون ربان.

مات الربي كامبانتون في بنيافيل سنة 5223 لبدء الخليقة (1463م) بعد أن تعرض لذل كثير وبعد أن شرد وطاف كثيرا من البلاد. وسمعت أنه لما كان ملاحقا اعتلى قبر الربي الكبير إسحاق شقتليا وقال:" سأموت بعد ثمانية أيام من الآن" كل هؤلاء الأساتذة المذكورون كانوا تلاميذ لهذا الأستاذ، وعلموا الشريعة بإسبانيا حتى زمن الطرد، حيث خرجنا من هناك كما سنرى فيما بعد.

الباب الثالث

اعتلى الملك دون فرناندو العرش سنة 5009 لبدء الخليقة (1015م)، وفي السنة الرابعة والثلاثين من ملكه أرسل إلى الملك ابن حبيب ملك إشبيلية يطلب رفات العالم الكبير سان إيزيدرو، وأخذه إلى ليون حيق أعاذ دفنه.

وهذا ما دفعنا إلى تقييد أمور نحسبها عجيبة سيما وأننا وقفنا على شيء مما كتبه القديس إيزيدرو عن زماننا. وقد سمعت أن هذا العالم تعلم من يهودي عارف جدا. ويقال إن الإمبراطور تيتوس، حينما توجه إلى أورشليم، صحبه القديس إيزيدور الذي كان حاكما على مملكة إشبيلية. وبعد تمكن تيتوس من أورشليم، أطلق اليد لقادة جيشه فسلبوا ونهبوا. وكان القديس إيزيدور من بينهم. اقتحم القديس منزلا كبيرا ، وحين هم بالخروج لاحظ شكل باب بالحائط، فلما هد الحائط الفى رواقا مملوءا بالكتب، وكان بالرواق رجل مسن يقرأ. تعجب الحاكم وسأل الشيخ: كيف تكون حالك في مكان كهذا؟، أجابه الشيخ:" لقد كنت أعلم أن أورشليم سيتم اجتياحها ولهذا بنيت هذه الدار، وأقمت هذا الرواق، وجمعت فيه هذه الكتب للقراءة، ووضعت فيه زادا كافيا ، وقلت: ربما نجوت من السلب والأسر". حينئذ أخذه القديس إيزيدور إلى إشبيلية معظما ، واتخذه أستاذا. وكان للحاكم ابن اسمه أزيدويرو تتلمذ على يد العالم اليهودي المذكور، وأسس في ضاحية إسبيلية منزلا عظيما لا زال قائما، ووفقا لما تعلمه من معلمه العارف كتب متنبئا بأمور عظيمة تحدث في العالم إلى مجيء مسيحنا المخلص. وقد تحقق كثير منها وشاهدنا ذلك بأعيننا.

وفي عهد ذلك الملك، كان يعيش الربي السموأل بن النغرالة طيب الرب ذكراه، وعلى عهده أخذت أورشليم من المسلمين من طرف المسيحيين، وأعيد بناؤها وتعميرها. كان ذلك سنة 4950 لبدء الخليقة (1190م). وعاد المسلمون إلى أخذ ألمرية من نفوذ المسيحيين سنة 4917 لبدء الخليقة (1157م).

واعتلى الملك دون ألونسو صاحب اليد المقطوعة سنة 4862 لبدء الخليقة موافق 1102 من تاريخ المسيحيين. وانتزع طليطلة من حكم الملك يحيى قريب الملك المأمون حليفه يوم الرابع من شهر ماي سنة 4882 لبدء الخليقة بعد حصار دام سبع سنوات. وبعد ذلك احتل مواقع كثيرة كانت تحت يد المسلمين، وأعلن نفسه إمبراطور قشتالة. وعلى عهده مات الربي الفاسي طيب الرب ذكراه.

ويوم الخميس الفاتح من شهر آب سنة 4906 لبدء الخليقة احتلن قلعة كاسطرو دي ليون، وأحرق الملاح، وأسر جميع اليهود، وتعرض اليهود للتضييق والإذلال. وحمل عليهم ملكان غشان: الملك دون ألفونسو ملك قشتالة والملك دون بيدرو الثاني وكان ذلك من يوم الثلاثاء إلى يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر آب. وأخذوهم أسارى نساء ورجالا وأطفالا. كان ذلك في الفاتح من شهر أيلول.

واعتلى الملك دون هرناندو دي كاسطيا (فرناندو الثالث) بن الملك دون ألونسو العرش سنة 4982 لبدء الخليقة (1222م). تزوج من بياتريس ابنة فيليب إمبراطور القسطنطينية، واحتل قرطبة وكل مدن الحدود سنة 4996 لبدء الخليقة (1236م) كما تمكن من بسط نفوذه على إشبيلية بعد ذلك، ومات هناك سنة 5020 لبدء الخليقة. واعتلى الملك الدون ألونسو ابن الملك المذكور دون فرناندو العرش سنة 5021 لبدء الخليقة موافق 1290 من حساب القيصر. تزوج من السيدة فيولانتي ابنة الملك العالم الدون خيمي ملك أراغون الذي تلقى العلم على يد الحبر موسى بن نحمان طيب الرب ذكراه، وولدت له ولدين: الدون فرناندو دي لا ثيردا، والدون ألونسو دي لا ثيردا. وفي العام الرابع من حكمه أرسل إلى يهودا بن موسى الكوهن ليترجم له من العربية كتاب العالم أبي الحسين بن عبد الرحمن بن عمر الذي يعالج أمورا متعلقة بالنجوم ورموز الفلك واشكالها، كما هي مرسومة في السماء، ولنقل الأزياج التي ألف الملك. وعن تلك الأزياج قال عالم من بلدنا اطلع عليها: إنها مكتوبة بحروف الذهب الخالص، وأكد أن الذي لم ير ذلك الكتاب لم ير قط شيئا جميلا ومنمقا. وقد قام هذا الملك الوجيه والعالم العارف بكل العلوم، بإعداد كل الأوامر والقوانين لرعيته ولشعوب مملكته، ووزعها تحت عنوان *Las Siete Partidas* وأمر بالاطلاع على هذه القوانين واتباعها وإليها كان يرجع جميع القضاة. وقد

انتشرت هذه الكتب في كل البلدان وبين كل الملوك وأمراء وعلماء عصره، كما اتبعها الذين أتوا بعده.

وملك الملك دون سانشو ابن الملك المذكور دون ألونسو سنة 5052 لبدء الخليقة (1292م) ملك عشر سنوات واحتل مدينة طريفة.

واعتلى الملك دون هرناندو بن الدون سانشو العرش سنة 5062 لبدء الخليقة (1302م) حكم أحد عشر سنة، ووقع في عهده الجلاء عن فرنسا. ويؤكد المؤرخون أن هذا الملك أرسل لقتل أخوين له شريفين، اقتادهما إلى صحراء في أرض خالية ورمى بهما من على قنة الجبال. وأثناء تنفيذ الحكم فيهما كانا يقولان:" هل يعلم كل الناس أن الملك أمر بقتلنا دون جرم اقترفناه، وضد العدالة، ولم يقبل حججنا، وسنمهله إلى أن يلتقي بنا في بحر ثلاثين يوما". وكانت إسرائيل شاهدا على أن الملك مات في جيان في بحر ثلاثين يوما.

واشتد غضب الرب على شعبه سنة 5078 لبدء الخليقة ومات ملك فرنسا الذي كان يحكم نفارا، وأخذ سكان ذلك البلد في قتل وإبادة كل يهود قشتالة وغيرهما من المواقع. وقتلوا في نفارا وقشتالة وغيرهما ستة آلاف يهودي. ومات في السنة نفسها الربي آشير طيب الله ذكراه.

وتولى الملك دون ألونسو الطيب بن الملك بن الملك دون هرناندو وصهر دون خوان مانويل الحكم سنة 5117 لبدء الخليقة. ملك أثنين وأربعين سنة وكان له ثمانية أبناء: دون بيدرو، ودون سانشو، ودون فدريكي، ودون تيو، ودون خوان هرناندو، ودونيا ليونور، - جعلت عظامهم في النار - واحتل هذا الملك جبل طارق والقلعة والجزيرة الخضراء وأوليفيرا وغير ذلك من المواقع، وعاد المسلمون إلى احتلال جبل طارق في أيامه. وحاصرهم دون ألونسو، ومات بالطاعون يوم الجمعة المقدسة سنة 5230 لبدء الخليقة. وعلى الفور احتشد كل المعسكر ونقل الملك إلى إشبيلية حيث جفن. وعلى عهده كان الأمير خوسيه دي إيثيخا والمعلم الربي يوسف بن جقتليا. وألف كلاهما كتبا هامة في علم القبالة. وفي عهده تم

التضييق على اليهود بسبب دسائس غونثالو مارتينيث دي لاس كاسطياس. وفي نفس الفترة مات الربي يهودا بن آشير طيب الله ذكراه، وقتل الملك دون أنريكي بن الملك دون ألونسو الملك دون بيدرو أخاه. وحدث لجماعة قشتالة ضيق كبير، وذُلت جماعة طليطلة المقدسة إلى درجة أن البعض أكل لحم أبنائه وبناته. ومات بالجوع ثمانية وعشرون ألف يهودي بين صغير وكبير. ولم ينج إلا القليل من اليهود أنزل بهم الملك ضريبة أتت على كل ما لديهم. وكان ذلك سنة 5139 لبدء الخليقة (1370م) ومات في فترة حكمه السيد السموأل اللاوي الطليطلي، مات في السجن جراء العقوبات الكبيرة التي ألحقه بها الملك دون هرناندو. وعاش في عهده الربي اللاوي بن جرسون.

وملك الملد دون خوان بن الملك إنريكي ثلاثة وعشرين سنة، وفي عهده تكاثر أعداء اليهود. وفعلوا بهم ما ارادوا: انتزعوا منهم أبناءهم ونساءهم وباعوهم عبيدا وغماء، وأجبروا البنات على البغاء. وغير أكثر من مائتي ألف يهودي دينهم بأمر من الملك. بدلوا دينهم بدين إله من الأرض، كان ذلك سنة 5151 لبدء الخليقة (1390م) وحدثت في نفس السنة ملاحقات بإشبيلية، وبلنسية وليريدا وبرسلونة وميورقة، وهلك ذلك الملك بأن سقط من على جواده فديس ومات.

وملك الملك دون بيدرو بن الملك دون خوان أربع عشرة سنة، ومات سنة 5165 لبدء الخليقة (1405م) وعاش في عهد الربي دون مير الوديش. وقام الفريلي فيسنتي، محق اسمه وذكره، بدعم من زوجة الملك دونيا كاطالينا والدون هرناندو ملك اراغون بملاحقة كبيرة لليهود. واعتنق المسيحية أزيد من مائتي ألف شخص سنة 5172 لبدء الخليقة. وحدثت مصيبة عظيمة في نفس السنة: أجرى الرب ريحا عاتية فأسقطت الجبال وأحرقت الأشجار وحطمت المراكب في البحر، واقتلعت كل أشجار الحقول، وأرسل الرب هاتين المصيبتين على الغسرائيليين بسبب خطاياهم. واستقبل الملك دون خوان ملك البرتغال كل

المحتقرين من اليهود، رغم احتجاج النصارى عليه. وعبر هذا الملك إلى مدينة سبتة، وهي مدينة كبيرة على شاطئ بحر المغرب، وعثر هناك على صخرة كبيرة كتب عليها: "أسست مدينة سبتة على يد سام بن نوح".

وتولى دون خوان أخو الملك دون فدريك ملك قشتالة العرش سنة 5164 لبدء الخليقة، وملك تسعة وأربعين سنة، واحتلت مدينة القسطنطينية على عهده من طرف ملك تركيا. ومات يوم الأربعاء الواحد والعشرين من شهر ماي 1141م (5171 لبدء الخليقة، الربي ميناحيم هاعروك. كان عالما وجيها.

ومات المعلم الربي شم طوب بن شم طوب ببلد الوليد سنة 5192 لبدء الخليقة (1432م) ومات الملك دون خوان سنة 5214 لبدء الخليقة (1454م).

وملك الدون إنريكي بن الملك دون خوان ثمانية وعشرين ينة. وفي عهده خرج الملك دون ألفونسو ابن الملك دون دوارتي دي برتغال إلى الحرب بجيش عظيم. كان ذلك سنة 5223 لبدء الخليقة. وقتل له المسلمون أزيد من ألفي فارس من بينهم سبعة أمراء. وفي العام نفسه مات نور بني إسرائيل الكاؤون الربي إسحاق كامبانتون، طيب الرب ذكراه. وفي سنة 5238 لبدء الخليقة، خرج ملك البرتغال لاحتلال أصيلة وطنجة. وكان ذلك يوم السبت الرابع والعشرين من شهر غشت من سنة 5238 لبدء الخليقة. وفي يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر سيوان سنة 5231 لبدء الخليقة (1471م) استشهد ثمانية يهود بسبو لفيدا تم إعدامهم من طرف القاضي الملكي، رجم إثنان منهم، وأحرق اثنان، وخنق الأربعة الباقون.

وحاول الملك دون ألونسو ملك البرتغال بسط نفوذه على مملكة قشتالة سنة 5236 لبدء الخليقة، جاء بأمرائه وخدامه ونبلائه، وبأربعين ألفا من جنوده، وجاء بالذهب والفضة. وقاتل الملك دون هرناندو بين مدينتي ثامورا وطورو. وساعده أمراء من قشتالة. وكما جاء في المزمور" الرب يبني أورشليم" (المزمور

1، 147) وخجل أن يعود إلى بلده بعد أن قتل أزيد من خسة آلاف رجل وفوجئ مساء الجمعة الثالث من شهر آذار سنة 5236 لبدء الخليقة (1476م).

وتعظم الملك دون فرناندو بجانب الملعونة زوجته، وبمساعدة ملك سودوما، وكون جيشا كبيرا فاق جيش الملوك الذين سبقوه. وفي السنة الحادية عشرة من تولية الملك، وبعد احتلال الجماعة من طرف دون رودريغو مركيز قادس، شرع الملك والقضاة في تفتيش المنصرين بالقوة وأخذوا يختبرونهم ويختبرون اتباعهم لإله إسرائيل. وحكم عليهم بالحرق، واحتجزت أملاكهم من طرف الملك، وثأر الرب لهم، ومات أغلبهم شهداء على قدس الرب. وفي ذلك العهد أمر الملك بفصل اليهود عن المسيحيين في السكن.

وفي سنة 5245 لبدء الخليقة (1485م) في 18 من شهر حشوان، سقطت أمطار طيلة ستين يوما. وفي سنة 5247 لبدء الخليقة (1487م) قلت الأمطار. وفي نفس السنة احتل الملك مدينة مالقة يوم السبت التاسع من شهر آب بعد حصار دام أربعة أشهر. وأسر كل من كان بالمدينة، ومن بينهم أربعمائة يهودي. وقامت طوائف قشتالة بفدائهم. واختل الملك بعدذلك مدينة غرناطة التي بقيت تحت إمرة المسلمين قرابة ثمانمائة سنة. وفي سنة 5252 لبدء الخليقة (1492م) تأجج غضب الرب على شعبه إسرائيل، وعاملنا على قدر خطايانا التي تكاثرت وغطت هاماتنا.

حاسبنا الرب بأقل مما تستوجبه فضائحنا، لرحمته بنا، ولتذكره عهد آبائنا. كنا سنكون كما سودوما، بالإبادة والإخلال والجبروت الذي كان في كل مملكة إسبانيا. والأسوأ من كل ذلك كان سيكون نسيان الشريعة. شريعة إسرائيل من جراء سيادة علم الأمور الدنيوية. لأن تسمين الدابة كان شغلها إلى أخره إلى آخره، ولم يكن مهتما بالشريعة الشفهية إلا الفقراء والمصابون بالمصائب. واشتد غضب الرب على شعبه وهجره من مدن قشتالة بواسطة الملك دون هرناندو (فيرديناند) ونصيحة زوجته الملعونة الضالة، وبإيعاز

من مستشاري تلك. فانقلب الشهر الأول أي نيسان عند اليهود من الفرحة (لأنه عيد الفصح اليهودي) إلى الحزن والأسى، وصاحت بقوة:"أنتم أيها اليهود الساكنون بمملكتي، آمركم بالخروج من بلادي في أجل ثلاثة أشهر، وكل من عارض أو ثار ضد هذا القرار قتلا يقتل" وكان حزن اليهود عظيما في كل مكان بلغ إليه قرار الملك، كان صيام، وحزن وبكاء، وعوض الفرحة في اليوم الأول من الفصح كان الحزن والرارة بجانب الخبز غير المختمر. كل الشعب بكى تلك الليلة وعم حزن عظيم. ومن الفصح حتى عيد العنصرة، خرج من أرض إسبانيا كل جنود "يهوه" خرجوا يبحثون عن كلمة الرب ويبحثون عهن داود مليكه بحرا وبرا، فسار البعض إلى أرض إسرائيل، والبعض إلى أماسيا، واليونان وتركيا. وتوجه آخرون إلى مملكة البرتغال تحت نفوذ الملك دون خوان بن الملك دون ألفونسو. تركوا هناك جميع خيراتهم، تركوا الذهب والفضة والأبناء والبنات. واقترف هذا العدو الملك دون خوان محق اسمه وذكره، جرائم عظيمة لم تتحقق في أية مملكة أخرى. وأخذ قرابة ثمانمائة طفل من الجنسين، وأرسل الجميع إلى جزيرة في البحر إلى أرض النسور والكواسر حيث الفهود والذئاب، حيث تحكم "ليليث" بسلام. مات أغلب هؤلاء الأطفال، وتزوج الناجون إخوانا وبناتا من أجل إعمار تلك الأرض حيث لازالوا يعيشون إلى الآن.

من سمع بمثل هذا؟ من رأى أعمالا مثل هذه؟ بمثل ذلك تنبأ النبي إشعياء.

واستمر كثير من اليهود ومن بينهم الأمراء والوجهاء والقضاة على تبديل عقيدتهم في منازلهم بعقيدة إله الأرض الغريب، فغادروا منبع المياه الحية وملك العالم من أجل خدمة آلهة لا يعرفونها ولا يجازونها، إنها عود وحجر لا تنفع ولا تضر.

وكان على رأس المرتدين كل من الربي سنيور حبر الطائفة الإسبانية وأبناؤه وكل أقربائه. ومثلهم آلاف وألوف، مسحوا من حرز الحياة. أخطأوا ودفعوا

الكثيرين إلى الخطإ، وكانت أعين الكثيرين متعلقة بهم. ولذلك فإن ﰲ ذمتهم أخطاء الكثيرين.

ومن وجهاء يهود إسبانيا وقادتهم الذين واجهوا الموت بحزم من أجل إرضاء الرب، ووهبوا أجسادهم للقتل وللتعذيب، كان الوجيه العالم التام الربي إسحاق أبرابانيل طيب الرب ذكراه، الذي استشهد على الملإ أمام الملك والنبلاء مع الربي سليمان سنيور والأخ الأكبر للربي المذكور. وبُحن وامتحن كل علماء إسبانيا، كبارهم وصغارهم بطلبتهم وأقربائهم. وإذا رمت كتابة ما حاق بهم بالتفصيل ينتهي الزمان دو أن ننتهي من رواية أخبارهم.

ولا أسجل هنا سوى جانبا من المصائب التي حلت بالمشتتين الذين لجأ بعضهم إلى مدينة فاس التي كانت تحت إمرة الملك العظيم التقي ضمن التقاة مولاي الشيخ الذي استقبل اليهود ﰲ كل ممالكه، ومنحهم امتيازات. ولجأ آخرون إلى مدينة سلا الواقعة على بحر المغرب، وتعقبتهم هناك سفن المفتشين طوماس وخوليان الذين تمكنا من بنات إسرائيل وأهانا الرجال، حتى وصل اليهود إلى مدينة فاس. وكان من بين اليهود من تجمع بمدينة أصيلة، وكانت هذه المدينة تحت سيطرة المشؤوم النمرود عامل ملك البرتغال القائد العام لأصيلة المسمى كوندي دي بوربا الذي بعد أن نفذ أفعالا سيئة متعددة ضد اليهود طردهم، فكان عليهم أن يذهبوا إلى القصر الكبير، وداهمهم المسلمون ﰲ الطريق فسلبوهم وجردوهم من ملابسهم، وتركوهم عراة رجالا ونساء وأطفالا.

ولجأ آخرون إلى مدينة باديس تحت إمرة مولاي منصور الذي عامل اليهود معاملة حسنة إلى أن انتقلوا إلى فاس بخيراتهم وكل مالهم. وتجمع آخرون بالعرائش، وحين مروا بالقصر الكبير اعترض الأعراب سبيلهم وعذبوهم، فمات بعضهم عطشا، وافترست الأسود البعض، وبخصوصهم تنبأ إشعياء النبي:" وحي من جهة بلاد العرب، ﰲ الوعر ﰲ بلاد العرب تبيتين يا قوافل الدادانيين، هاتوا ماء ملاقاة العطشان" (إشعياء الإصحاح الواحد والعشرون،13). و قدم القسم الناجي

من هؤلاء اليهود إلى فاس حيث حيث اجتمع كبار القوم وصغارهم وعلماؤهم ونُبهاؤهم. وكان والدي طيب الرب ذكراه من بينهم.، مات بعد أن تجاوز سبعين سنة وعلم شريعة إسرائيل. مات في اليوم الأول من الفصح من سنة طرد اليهود من أرض الأندلس. ومات في في ذلك العهد كذلك بمملكة البرتغال، أستاذنا وسيدنا إسحاق أبواب طيب الرب ذكراه، والعالم الفيلسوف بين العلماء والملوك الربي شيم طوب بن شيم طوب طيب الرب ذكراه، ومات اثنان من كبار الأسود والأحبار الذين شرحوا شريعة إسرائيل، ماتوا بقشتالة في نفس السنة أو قبيل الجلاء، وهما الربي يسحاق دي ليون والربي السموأل البلنسي طيب الرب ذكراهما.

وبعد مرور الفصح حدثت في إسرائيل أمرو عظيمة اغلبها مدون في كتاب الشريعة أو قريب منه في كثير من النقاط: فبعد مرور ثمانية أشهر على استقرار اليهود بمدينة فاس، في شهر تموز، اشتعلت النيران في الملاح واحترق في وقت وجيز كثير من الرجال كما لو كانت النيران تنبعث من السماء. ونجوت منها وكنت آنئذ ابن أحد عشرة سنة.

وحدث أمر مماثل في منتصف النهار، وبعد الحريق الكبير المذكور، حدثت المجاعة، وحل الطاعون، وهلك من اليهود عشرون ألفا أو يزيد بمدينة فاس وفي المدن المحيطة بها. وحين رأى اليهود ما حل بهم من مصائب رجع بعضهم إلى أرض النصارى مخافة الهلاك، واختمى آخرون بخيام المسلمين، ومات آخرون جوعا في الأسواق والساحات، ومشت بنات إسرائيل عاريات وعليهن تنبأ إشعياء عليه السلام:ط أيتها النساء المطمئنات ارتعدن، قمن اسمعن صوتي" (سفر إشعياء، الإصحاح الثاني والثلاثون، 9).

واشتد غضب الرب على شعبه إسرائيل سنة 5257 لبدء الخليقة (1497م)، مات الملك دون خوان ملك البرتغال دون أن يعقب. خلفه ابن ضعيف هو الملك مانويل الذي اتفق مع وجهائه وخدامه على محو ذكرى إسرائيل. وأعلن

قرار في كل المدن يقضي بوجوب خروج اليهود من البرتغال خلال أحد عشر يوما. وبعد ذلك قرر عدم خروج أو دخول اليهود، وكتنت إسرائيل كقطيع دون راع، كانوا يتنقلون في الأرض كما لو كانت الصحراء تحيط بالأرض. ومن بين المرتدين من ابناء إسرائيل كان المشؤوم لابان الآرامي لاوي بن شيم طوب رع (الشرير) الذي أذنب ودفه إسرائيل إلى الذنب أكثر من خيروبوعام. ونصح الملك بحجز البيَع والمدارس. وكل شخص طلب من رب السماء شيئا يقطع. ولم يأبه لذلك الربي العالم شيم طوب ليرما الذي صاح على الفور:" من يريد صلاة صلاة المساء"، وذهب إلى بيته وصلى. ولما علم الملك بذلك أمر بتقييده وإهانته. ويعرف اليهود جميعا أنه عذب من أجل خرقه للقرار.

ولما نصح اللاوي شيم طوب رع بحجز البيَع نصح باحتجاز ابناء إسرائيل الذين لم يبلغوا سن الثالثة عشرة من أجل تنصيرهم. ووافقت النصيحة الملك فأمر بانتزاع الأطفال من آبائهم وأمهاتهم. وكان صياح الابناء عظيما، كانوايقولون بمرارة:"من يخلصنا من؟" وكان آباؤهم يصيحون كذلك بمرارة بصوت حزين، لا يدرون ما يفعلون. وعلى هذا قال أرمياء عليه السلام:" راحيل تبكي أبناءها" (سفر إرمياء، الإصحاح الواحد والثلاثون،14). ولم يتوقف في محاولته حتى زج بالعلماء في ذلك. فسلط عليهم أنواعا من الإهانات، وقيدهم بالسلاسل. وغير كثير من اليهود الذين لم يتحملوا ذلك العذاب دينهم، بينما اختنق البعض واستشهد البعض الآخر لأنهم اعترفوا بربهم تبارك وتعالى. وكان على رأس هؤلاء الربي شمعون ميمي طيب الرب ذكراه الذي استسلم للاستشهاد مع أسرته وكل أقربائه رجالا ونساء واطفالا. مات الربي شمعون ميمي في السجن جراء العذاب الشديد. وممن هلك كذلك العالم التقي القديس الربي شيم طوب ليرما الذي تعرض لكثير من الإهانات كما تقدم، أودعوه السجن وأطلقوا سراحه بعد ذلك؛ خلصه الرب تبارك وتعالى من الموت، وجاء شيم طوب إلى مملكة فاس مع أستاذه يعقوب لوال والربي إبراهيم سبأ. جعل الرب تبارك وتعالى حدا

لأسرنا وجعل عاقبتنا سعيدة بمجيء مخلصنا المسيح. تبارك الرب إلى الأبد. آمين أمين. انهى كتاب القبالة. التسبيحات للرب.

فهرس الأعلام*

---

* هذه الفهارس خاصة بكتاب التواريخ.

فهرس الأماكن

فهرس المحتويات

ובערב [illegible]

בימים [illegible]

ובשנת התעז [illegible]

ובשנת התפג [illegible]

ביום ז' [illegible]

מה' בכת' [illegible]